# من صحيح ا

تقديم

أناهير بنت عبي

غفر الله لها ولوا

١٤٣٦ من الهجرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

**تنبيهات هامة:**

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

# فهرس الجزء الرابع


اللقاء الخامس عشر 3
بَابُ مَنْ شَبَّهَ أَصْلًا مَعْلُومًا بِأَصْلٍ مُبَيَّنٍ قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ حُكْمَهُمَا لِيُفْهَمَ السَّائِلَ 3
اللقاء السادس عشر 29
باب مَا جَاءَ فِي اجْتِهَادِ الْقُضَاةِ فِي الحكم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى 29
بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- : "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ" 29
اللقاء السابع عشر 56
بَابُ إِثْمِ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً 56

## اللقاء الخامس عشر

### بَابُ مَنْ شَبَّهَ أَصْلًا مَعْلُومًا بِأَصْلٍ مُبَيَّنٍ قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ حُكْمَهُمَا لِيُفْهَمَ السَّائِلَ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا وهو وحده المستحق للشكر، فمبدأ النعم منه فهو الأول، ونهاية المنن له وهو الآخر، وكل أمر هو عليه ظاهر، وهو القريب الباطن -سبحانه وتعالى-، نسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا ممن استقر الإيمان في قلوبهم بكمال عظمته وجلاله -سبحانه وتعالى-، وأن يكون العلم نورًا وهدى لنا، فقد وصف -سبحانه وتعالى- كتابه بصفات عظيمة، ووصف سنة نبيه بصفات عظمية، فهذا الكتاب وهذه السنة هدى وشفاء ورحمة، لا تتحقق هذه الصفات إلا لمن أخذ بالكتاب والسنة معتصمًا، فإذا نظرنا لكتاب الله كما وصف الله في كتابه، نجده وصف كثيرًا أن هذا القرآن هدىً وشفاء لما في الصدور وبشرى لكن لمن يكون هذا الوصف؟ يعني الكتاب هدى،

الكتاب بشرى، الكتاب نور، لكن لمن؟ لمن اعتصم بالكتاب والسنة يعني هذا الكتاب كما وصف سبحانه في مطلع سورة البقرة (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) لكن لمن؟ (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)، كأننا نسأل ما صفة هؤلاء المتقين؟ صفتهم أنهم (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) وهذه الصفة العظيمة يلزم منها أن يكون هذا الكتاب العظيم أمام أعيننا لأن الغيب من أين سنأتي به ونعلمه سواء صفات الله العظيمة، أو الغيب لقاء الله وكيف يكون، أو الغيب ماذا يرضى الله، أو الغيب ماذا يسخط الله، أو الغيب من هم رسل الله، أو الغيب ما هو كلام الله، فلا يمكن أن نعرف الغيب إلا إذا اعتصمنا بالكتاب (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) أول صفة للمتقين: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ). من الذي يؤمن بالغيب؟ المعتصم بالكتاب والسنة، الذي يراهما المصدر الوحيد لمعرفة الحق سواءً فيما وقع أو فيما سيقع أو فيما سيلقاه خاصة أو تلقاه الأمة عامة؛ ولذا النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: «لَو تَعلَمونَ ما أعلَمُ لَضَحِكتُم قَليلًا، ولَبَكَيتُم كَثيرًا.»[1] لماذا؟ لأن الذي يعلم ما يعلمه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وهو الكتاب والسنة، سيعلم حقيقة

[1]() أخرجه مسلم (2359).

الحياة كما وصف الله، واسمع قوله تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)[2] تعلم أن هذه الحقيقة غيب، وسيندم العبد إن لم تقع في قلبه كما ينبغي؛ لأنه سيبقى يتكاثر في المأكل والمشرب والملبس والسكن، ويستمر في غفلته، حتى تأتيه لحظة معرفة الحقيقة، اللحظة التي لا يفيد فيها الندم. كيف يعرف العبد الحقيقة حتى لا يندم بعد معرفتها، كما في الفجر يأتي ويقول: (يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)[3] ماذا يفعل؟ يعرف الحقيقة من كتاب الله.

إذًا حاجتنا للاعتصام بكتاب الله وبسنة رسول الله، حاجة عظيمة يحتاجها كل الناس، وبها يكتفون عن كل معلوم، يعني من أجل أن تكوّن فكرك وتعلم حقيقة الحياة وحقيقة ما ستُقبل عليه وحقيقة معاملة الله للخلق، حقيقة الأوضاع التي تدور حولك، حقيقة أعدائك، حقيقة الأولياء، كل هذا تعلمه من كتاب الله وسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، بصورة مختصرة: نسمع عن وصف قارون قوله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) وقومه قالوا له: (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

---

[2] () التكاثر:1-2.

[3] () الفجر: 24.

الْفَرِحِينَ)[4] الشاهد: أنه رأى نفسه فعل وفعل! قارون اليوم يتمثل في حضارات كثيرة حولنا، مشكلتنا ليست في قارون؛ لأنه لا بد أن يبقى قارون في كل زمان أشخاص أو دول، المشكلة فيمن يرى قارون، من يرون قارون انقسموا قسمين:

- (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)[5] ومن المؤكد نسمع مثل هذا الكلام كل يوم من الناس.
- (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ).

فهؤلاء الذين أوتوا العلم، علموا حقائق المسائل، وأما أولئك فهم يريدون الحياة الدنيا ولا يفكرون إلا فيها. وكما سمعتم في الآيات (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) هذه الحقيقة كيف تفهمها؟ العلم من أين تأتي به؟ لا تستطيع تصور حقائق المسائل وليس ظاهرها، ظاهر المسائل الناس مشتركون في معرفته كما قال تعالى في سورة الروم: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)[6] الظاهر الناس يشتركون في معرفته، لكن

---

[4] () القصص: 76.
[5] () القصص: 79.
[6] () الروم: 7.

ما وراء الظاهر لا يعلمه إلا من يجعل مصدر معرفته للمعلومات والحقائق الكتاب والسنة فقط؛ ولذا يقول الله: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)، لا بد أن تعلم ما معنى أن يعتصم أحد بالحبل، معناه أنه في بحر لجّي وأُلقي له بحبل إن اعتصم به نجا، وإن لم يعتصم فما له من نجاة، ولذا التزاحم الفكري الذي يعيشه العالم الإسلامي في تصور الحقائق، لا بد أن يُسبب ضعفًا لأيدينا وهي تمسك بحبل الله، وقد ورد في الحديث: «فإنَّ هذا القرآنَ سببٌ طرَفُه بيدِ اللهِ وطرَفُه بأيديكم فتمسَّكوا به فإنَّكم لنْ تضِلُّوا ولن تهلِكوا بعدَه أبدًا»[7]، هذا الكتاب حبل الله الممدود، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، من تمسك به نجا، يعني ليس من رآه أو عرفه أو قرأه، لا بد من مصاحبة، كما في الحديث: «يقالُ لصاحبِ القرآن: اقرَأ وارتَقِ، ورتِّل كما كُنْتَ ترتِّل في الدُنيا، فإن منزِلَكَ عندَ آخرِ آية تقرؤها»[8] وفي كثير من كلام الشّراح: "يصحبه لا يشترط فيها أن يحفظه" لكن يصحبه ليله ونهاره، فكل فكره وتصوره عن الحقيقة: من أين أتى، إلى أين المصير، كيف يعامل ربه، كيف

---

[7]() أخرجه ابن حبان (122).

[8]() أخرجه أبو داوود (1464).

يكشف حقائق نفسه والأحوال التي يعيشها؟ كلها صاحب القرآن ما يفهمها إلا من القرآن والسنة.

ولذا الاعتصام لا يمكن أن يكون مجرد مطالعة، لا يمكن أن تكون علاقتك بالقرآن علاقة من يقرأ ما لا يفهم! لا يمكن أن تكون علاقتك بالقرآن في شهر رمضان وتنساه باقي السنة، ولا أن تكون علاقتك به في المناسبات، ولا يمكن أن تكون مجرد حرص على حفظ الحروف، الاعتصام بالكتاب والسنة يعني شخص يرى الكتاب والسنة حبلًا مُّد من السماء عليه أن يتمسك به، وعقيدتنا أن الله كما حفظ كتابه القرآن كذلك حفظ السنة وقيّض لها رجالًا ما رفعوا رؤوسهم عن سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وعندما نتكلم عن صحيح البخاري، فنحن لا نتكلم عن الرجل، فالرجل قد زكُّي من كل من عرفه، رغم تشكيك المشككين ورغم ما تسلط علينا من أعداء الدين وتمثلوا في صورة المؤمنين الحريصين على الدين، مهما قالوا فصحيح البخاري قد كتب الله له القبول عند أهل العلم وأهل المعرفة، ولا يستطيع انتقاد كتاب مثل هذا إلا من يعلم في العلم، كما لا أحد يستطيع أن ينقض الذهب إلا من يعمل

فيه، ومن ثمّ من يتكلم في صحيح البخاري وهو لا يفقه فلا قيمة أصلًا لخلافه ولا لكلامه، لكن هذا ليس موضوعنا، موضوعنا أن الله قد قيّض للسنة من يجمعها، وهذا ليس بعجيب، لماذا عجيب أن نتصور أن الله يقيض للسنة من يجمعها؟! ألم تقرؤوا في كتاب الله قصة أصحاب الكهف وكيف أن الله قد قيّض لهم من العوامل من يحفظهم؟! الله -عزَّ وجلَّ- على كل شيء قدير، فما العجب! وقد ورد في بعض الأثر الصحيح عن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «لَو كانَ الدِّينُ عِندَ الثُّرَيَّا لَذَهَبَ به رَجُلٌ مِن فارِسَ، أو قال: مِن أبناءِ فارِسَ، حتَّى يَتَناولَه.»[9] والمقصود إن هؤلاء القوم الذين نسميهم شرق آسيا، لو كان العلم في الثريا لبذلوا جهدهم ليصلوا، والحقيقة فيما يقرأ الناس ويعلمون أن قومًا من تلك الجهة حريصون لأن يبذلوا كل ما يستطيعون من أجل الوصول للأشياء، من أجل ذلك تسمع عن: البخاري، مسلم، النسائي، أبو داوود، كل هؤلاء ليسوا عرب في أصلهم لكننا نعتبر العرب: من نطق بالعربية، فهم أجود من تكلم بالعربية، وهذه البلاد فُتحت وتكلموا

[9]() أخرجه البخاري (4897).

بالعربية بها، لكن المقصود أصولهم ليست من العرب، فهو ليس تعصبًا بل نظرة لنعمة الله ومن لم يشكر النعمة ما ينتفع منها.

البخاري في كتابه يُنتفع من علمه نفعًا عظيمًا خصوصًا، وقد رتب كتابه بطريقة أن عقد كتبًا في داخل كتابه، فبدأ بكتاب بدء الوحي وانتهى بكتاب التوحيد وفي آخر الأبواب أتى بهذا الكتاب فقال: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وهذا الكتاب جزء من كتاب صحيح البخاري، عقد أبوابه بالطريقة المعروفة، كل باب له اسم ثم يسرد تحت الباب الأحاديث المناسبة لما عقد من اسم الباب.

في كتاب الاعتصام كنا قد وصلنا للباب الحادي العاشر، سنقول جملة مختصرة عما سبق ونبدأ في الباب التالي.

أول ما ابتدأ البخاري باب الاعتصام عقد بابًا يصف فيه كتاب الله، ثم كالمقدمة للكتاب، أورد الحديث الذي فيه أن اليهودي أتى لعمر -رضي الله عنه- وقال: «إنكم تقرؤون آيةً لو أُنزلتْ فينا لاتخذناها عيدًا، فقال عُمرُ: إني لأعلمُ حين أُنزلتْ، وأينَ أُنزلتْ، وأينَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ أُنزلتْ، أُنزلتْ يومَ

عَرفَةَ، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ واقفٌ بعرفَةَ -قال سفيانُ: وأشكُّ، كان يومَ الجُمُعةِ أمْ لا- (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)»[10].

فرد عمر كأنه يقول: "نعم، فإنها قد صادفت عيدًا عندنا؛ يوم عرفة في يوم الجمعة"، ماذا فهم اليهودي وأقره عمر بن الخطاب؟ فهم أن مثل هذا الخبر العظيم (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) الإكمال، الإتمام، الرضا، معناه أنكم قد بلغتم خير الأمم، وقد قال الله تعالى: (كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاسِ)[11] ، معناه أنكم وصلتم في كل مسألة لعدم الحاجة لأي فكر تستوردونه، لا أنتم في التربية تحتاجون أن تستوردوا من غير هذا الكتاب الذي كمُل وتمّ ورضيه الله، ولا في الاقتصاد تحتاجون أن تستوردوا أي فكر، ولا في تهذيب أنفسكم وتطويرها ولا في أي مسألة تحتاج لفكر، أنتم بحاجة لها، وهنا لا نقصد ما يتصل بإعمار الأرض، لا نقصد طائرة وسيارة، فهذا ميراث يرثه كل مُجِد، موضوعنا أنت كإنسان وكمجتمع، نحن

---

[10]() أخرجه البخاري (4606).

[11]() آل عمران: 110.

كمحاسبين في فكرنا وفي علاقاتنا، أي شيء يُصلحك موجود في الكتاب والسنة. لماذا؟ لأن الرب الكريم الذي أنزل هذا الكتاب العظيم، الذي خلق الإنسان وسيحاسبه، قال عن هذا الدين إنه أكمله، وأتمه، ورضيه، فمن يقول: "رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولًا" يقول: رضيت ولا أرضى بغيره، معناه يسد أذنيه ويغمض عينيه ويغلق تفكيره عن أن يستورد أي فكر يصلحه أو يصلح مجتمعه، وإذا قال لك أحد: "الحكمة ضالة المؤمن، أنّى وجدها أخذها!" نقول في كتاب الله كل الحكمة ابحث فيه، نحن لم تضلنا الحكمة أبدًا، نحن نصدّرها ولا نستوردها لأن هذا الذي بين أيدينا كامل.

ولذا بدأ بهذه الآية في مقدمة الكتاب كأنه يقول: " كتاب الله وسنة رسول الله يستحقان أن تعتصم بهما، ويستحقان أن تبذل غاية جهودك في فهمهما، وفي تصور المسائل منهما، فكل ما تحتاجه موجود فيهما."

ثم أكمل مقدمته إلى أن عقد الباب الأول فأورد حديث رسول الله الذي فيه وصف للكتاب والسنة فقال: (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ")**.** يعني انظر للقرآن وقارن حجمه ببقية كتب الناس،

عندما يحتاج أحد أن يكتب في التاريخ يحتاج إلى ثلاثين مجلدًا، في علم الاجتماع مثلًا تجد أعدادًا من الكتب، وهذا الكتاب العظيم يصلح لكل زمان ومكان وفيه كل ما يصلح الناس، مع أن هذا حجمه والسبب: أن فيه جوامع الكلم، فمن أراد أن يُقبل لينتفع لا يتصور أن هذا الكتاب يستطيع أن يأخذ ما فيه من إرشاد وهو يقرؤه كما يقرأ الجريدة! هذا تقلّب فيه حتى ينوّر الله لك؛ فيقع في قلبك الفهم، ففي كتاب الله وسنة رسول الله وصف مهم جدًا يحتاج ممن يعلم هذا الوصف بذل الجهد، (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ). كلام قليل ورائه معانٍ عظيمة. مررنا على قصة قارون وسمعنا عن قارون وعن الذين يريدون الحياة الدنيا وعن الذين أوتوا العلم. وهذا يبقى إلى قيام الساعة الناس عندهم قارون وعندهم من يريدون الحياة الدنيا وعندهم الذين أوتوا العلم، قصة واحدة تساوي صور متكررة دائمًا.

بعدما بدأ بهذا الباب، أرشد بعدها إلى كيفية دراسة هذا الكتاب وتعلمه، لن أخترع للكتاب معاني، المطلوب أن أقتدي بسنة رسول الله في فهم الكتاب؛ ولذا يمكن أن تسمع أحدًا يُرشدك لأهمية الكتاب والسنة لكن يقطع الطريق بينك وبين النبي، بينك وبين فهم الصحابة، بينك وبين فهم اللغة، هو يعطيك من عنده معنى، هذا موجود ومنتشر يعني جماعة

يزّهدونك في الكتاب وجماعة يزهّدونك في السنة، وجماعة يقولون: "الكتاب والسنة مهمان فقط افهمها فهمًا معاصرًا!" ثم يتكلم عن تحديث الخطاب الديني، يعني يلبّس الدين ملبسًا يوافق الهوى؛ ولذا في الباب الثاني (بَابُ الاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-). أورد كلامًا لابن عون دائمًا نكرره لأنه بمثابة القاعدة في التعامل مع سنة النبي وابن عون تابعي صغير من أزهد التابعين وأكثرهم علمًا قال: (ثَلَاثٌ أُحِبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلِإِخْوَانِي، هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا، وَيَسْأَلُوا عَنْهَا، وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا عَنْهُ، وَيَدَعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ) يعني أقفل أذنيك، السنة تعلمها واسأل عنها إن لم تعلم، اسأل أهل العلم، والقرآن تفهّمه يعني اقرأه قراءة تقول ماذا يريد ربنا، لماذا تكررت هذه الكلمة، لماذا قيل كذا؟ لماذا وصف كذا؟ واسأل عنه أحياء فقهاء أو اقرأ في كتب الأموات تجد مبتغاك ونقول في كل الأحوال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ، في كل الأحوال نقول: «اللهم! إني أسألُك عِلمًا نافعًا، وعملًا مُتقبَّلًا، ورِزْقًا طَيِّبًا.»[12]. كل هذا لا بد أن يدفعنا لأن نطلب العلم ونسأل عنه.

[12]() أخرجه ابن ماجه (925).

أغنانا بكلام كثير في البداية، لكن هذا أهم كلام مر معنا، إلى أن وصلنا أنه بما أنك ستسأل، فلا بد أن تعلم عن ماذا تسأل وتنتبه من خطر السؤال،؛ لأن هناك جماعة انحرفوا عن الاعتصام بالكتاب والسنة لأنهم سألوا بطريقة غير صحيحة، فإذًا تسأل عما يجب أن تسأل عنه، بمعنى عمّا يزيدك إيمانًا، أي شيء من وسواس الشيطان أو فيه تعدٍ ما تسأل عنه، يعني تحتاج أن تعلم صفات الله، تحتاج أن تعلم أنه الأول الذي ليس قبله شيء، وأنه الآخر الذي ليس بعده شيء، وأنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وأنه الباطن الذي ليس دونه شيء، تحتاج أن تعلم أنه الملك القدوس السلام المؤمن المهمين، تحتاج أن تعلم بالتفصيل معاني هذه الأسماء، لكن ما تحتاج معرفة كيفية الأسماء، تعلم أنه الملك العظيم الذي استوى على العرش، لكن كيف استوى؟ لا حاجة لمعرفة ذلك، معناه تسأل عما يزيدك إيمانًا يعني أنت لا تحتاج أن تعلم كيف استوى! لكنك تحتاج أن تعلم معنى اسم السلام، المهيمن؟ تحتاج أن تسأل عن معاني الأسماء وليس كيفية

الصفات، فكل شيء يحتاج إلى حدود، تسأل لكن فيما يزيدك إيمانًا لتحذر من الشيطان.

إذًا هذا الكتاب نحن نستغني به عن كل شيء، هذا الكتاب فيه جوامع الكلم، هذا الكتاب يحتاج إلى اجتهاد وبحث، تعطيه لبّك من أجل أن يقال لك يوم القيامة: «اقرأْ وارتقِ ورتِّلْ كما كنت تُرتِّلُ في الدنيا فإنَّ منزلَك عند آخرِ آيةٍ تقرؤُها»[13] وقد قيل في بعض الآثار "إن من عمل بآية ذُكّرها، ومن لم يعمل نُسّيها" بمعنى أن الناس سيرتفعون على حسب ما وقع في قلوبهم سواء عملوا بقلوبهم أو بجوارحهم، فالمعنى أن ربنا مطلعٌ على مقدار ما تجتهد لتفهمه، مطلعٌ على مقدار صدقك في الاستغناء بالكتاب والسنة عن كل شيء.

عندما تفهم الكتاب والسنة وتسأل عنهما كما ينبغي، نصل لمسألة خطيرة مهمة جدًا يمكن للإنسان أول ما يدخل هذا الباب أن يقع فيها أو يراها حوله ممن يدخلون الباب وهي مسألة التعالم، مسألة القول على الله بلا علم، وهذا المسألة أصبحت بابًا مفتوحًا يدخله كل من قرأ، في الزمن الماضي لم يكن الناس يقرؤون ولم

---

[13]() أخرجه الطبراني (13/ 507) (14382).

يملكوا القدرة على القراءة فلزموا مكانهم، ومن يقرأ هو الذي يفهم وقد يقع منه الخطأ، لكن اليوم الصغير والكبير يقرأ! والصغير والكبير يعتقد أنه عندما يقرأ يفهم، وعندما يفهم يعتقد نفسه أنه يفهم أكثر ممن فهم قبله! ومن ثمّ كل الناس يتكلمون في الدين، كأنهم يتكلمون في المطبخ وكل واحد يأتي بتجاربه! إلى أن وصلنا لمن يقول: "أشعر أن الحكم كذا!" أي أداة علمية هذه؟! طبعًا هذا يعتبر قول على الله بلا علم ولتعلموا أن القول على الله بلا علم بمنزلة الشرك بل أعلى منه فإن الله قال في سورة الأعراف: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[14] قال أهل العلم: "بدأت الآية بالأدنى إلى الأعلى، فأصبح أعلى شيء القول على الله بلا علم"؛ لأن القول على الله بلا علم سيغير الدين، وكلما زاد القول على الله بلا علم، كلما تغيرت ملامح الحقيقة وكلما تشوشنا، لا نعلم ما الصواب من الخطأ من كثرة من يتكلمون فيما لا يعلمون، ولذا قال علي -رضي الله عنه-: "العلم نقطة كثّرها الجاهلون" بمعنى في كل

[14]() الأعراف: 33.

مسألة الأمر واضح، لكن عندما يتكلم الجاهل تكثر ونسأل وتختلط علينا الأمور، والمسألة كلها إن هناك متعالمًا أتى فتكلم، المتعالمون كثير وشاشات التلفاز تحمل الكثير من المتعالمين، لا تظهر عليهم آثار السنة ولا الاهتمام بها، يلمعونهم لفترة من الزمن وينتهي دورهم، فيزيلونهم ويضعون غيرهم، يد من الخارج تستعمل أيدي من الداخل، ومعلوم هذا الأمر على مر الزمان، يعني في عصر أحد الولاة العباسيين أتى أحد الوّضاع لحديث النبي، فأُتي به وسئل: "لماذا تفعل هذا؟" قال: "ما عرفت كيف أفسد دينكم إلا بأن أضع على نبيكم!" وهذا معلوم أن طوال الزمان هناك أحد يتلبّس بلباس الدين يتعاون لإفساد الدين! أبرزهم عبد الله بن سبأ، الذي كان من ورائه مقتل عثمان وعلي -رضي الله عنهما-، ودخول الأمة في كل هذه الأزمة، هذا دخل من اليمن على أنه مسلم ثم بدأ ينادي ويقول: "لكل نبي ولي، وولي محمد علي"، وأدخل المسألة على المسلمين وأفسد بها المسلمين، فالأعداء طوال الزمان حالهم يلّبسون أحدًا لباس الدين فيفسدوا من الداخل؛ ولذا هذه الثلاثة الأضلاع الخطيرة دائمًا:

- من الخارج أعداؤنا.
- ومن الداخل المنافقون.
- والضلع الثالث الجهال منّا يغلقون المثلث.

فالقاعدة أعداء، منافقون يضعون أيديهم من الداخل بيد من في الخارج والثالث الجاهل الذي لا يعلم من يسأل؛ ولذا لا تتصور أن الإرهاب إلا ناتج هذا المثلث، ولا تتصور أن الإلحاد عندما ينتشر في مجتمع مثل مجتمعنا عرف الله ونعمة الله إلا وهذا المثلث من فعله، من الخارج الأعداء ومن الداخل المنافقون ويأتي أولادنا الجاهلون يلتصقون بمثل هذا ويقعون فيما يقعوا فيه! ولذا الاعتصام بالكتاب والسنة هو الحل، لا بد أن نفهم أن الله عندما أنزل الكتاب وبيّن سنة النبي، لا بد أن يكون في المقابل منّا تصرف وهو: الجِد في الاعتصام بالكتاب والسنة، ما ينجو ناجٍ وهو نائم، ما يتحرك قلبه ويتعلق بالله، لا ينجو إلا عندما يسعى قلبه لربه فيدفع بدنه لهذا السعي.

سمعنا كلامًا كثيرًا في هذه المسألة العظيمة نبدأ بالباب الثاني عشر

## بَابُ مَنْ شَبَّهَ أَصْلًا مَعْلُومًا بِأَصْلٍ مُبَيَّنٍ قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ حُكْمَهُمَا لِيُفْهَمَ السَّائِلَ

• حدثنا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم- : "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ " قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَمَا أَلْوَانُهَا؟" قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: "هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ ؟" قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: "فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِرْقٌ نَزَعَهَا قَالَ: "وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ"، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الاِنْتِفَاءِ مِنْهُ.

• حدثنا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلّم- فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟ " قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: "فَاقْضُوا الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ".

← نرى هذا الباب كيف يضيف في مسألة الاعتصام.

اتفقنا على أننا عندما نتعامل مع الكتاب ممنوع أن نقول برأينا شيئًا والمفترض أن نعتصم بالكتاب والسنة ونفهمهما على فهم السلف، لكن أحيانًا تجد بعض أهل العلم الكبار يقيسون مسائلًا على مسائل، وعندما يريدون أن يبينوا شيئًا يقولون: "هذا مثل هذا في كذا وكذا"، فربما وقع في نفسك أن هذا ربما يتكلم على الله بلا علم، فنأتي نقول: هذا الباب ليزيد هذه المسألة، التعالم يأتي من الجهال، أما من لديه علم، فيمكن أن يحصل منه ضرب مثال، وتقريب للمسألة من أجل أن تتضح للسائل حقيقة المسألة عن طريق ضرب المثال، وعندما يضرب مثالًا، فهذا لا يعني أنه يتعدى الكتاب والسنة، إنما هذا العالم يفهم الكتاب والسنة، ثم من أجل أن يقرب للسائل جواب سؤاله، يضرب مثالًا، نخرج من هذا الكلام إلى مسألة ضرب الأمثلة في كتاب الله وسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ ليتبين لنا أن هذا الكتاب وهذه السنة إذا فُهمت جيدًا، تستطيع في المواقف الذي يحصل فيها تشابه أن تستنير، وتتصور الحق مع من، ويميل إلى أي جهة.

ترون في كتاب الله أن الله قد ضرب أمثلة كثيرة في كتابه، وكان أهل العلم يقولون عن الأمثلة إنها "سُرج القرآن" وكانت مقياسًا للعلم، يعني كل واحد يفهم الأمثلة في القرآن فدليل على أنه بدأ يفهم كتاب الله، فأنت من سورة البقرة تجد أن الله قد ضرب مثلًا في المنافقين، وما انتهت السورة إلا وقد ضُرب في الإنفاق أمثلة كثيرة، كل هذا دليل على أن الأمثال تُقرّب للسامع المفاهيم، وكثير من الاحتجاجات أتت في كتاب الله مقرّبة عن طريق المثل، مثلًا يضرب لنا في سورة الحج مثلًا لتتصور شناعة الشرك، فيقول تعالى: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)[15]، فكأنه يقال: تصور صاحب التوحيد المعلّق قلبه بالله، المتوكل على الله، ويعرف الله، ومعتمد على الله، ولا يطلب غير الله، تصوره كأنه في السماء محفوظ، فحينما يميل قلبه لغير الله ويظن أن غير الله قد ينفعه، فكأنه سيقع من السماء، فماذا سيحصل له؟ أحد أمرين:

- إما تتخطفه الطير من كل مكان.
- أو سيقع في مكان سحيق.

[15]() الحج: 31.

وهكذا من يطلب غير الله ويدعو غيره، ماله إلا هاتان الحالتان، يعني بعدما كان ملاذه ومعاذه ربه وحده، مطمئن بالتوحيد، ولا يسأل غير الله، أغراه هذا أن الولي الفلاني ينفعه، أو الذبح عند كذا وكذا ينفعه، فكأنه شخص مزّقته الطيور، فعندما يحتاج للشفاء يطلب هذا، وعندما يحتاج للولد يطلب هذا، وعندما يحتاج للمال يطلب هذا!

أو يأتي من يدخل في حياته فيكون في عينه أعظم من الله! فكأنه أُلقي في وادٍ سحيق.

معنى ذلك أن الأمثال تُضرب في القرآن؛ من أجل أن تقرب لنا الشيء البعيد، أو ما لا نستطيع الإحساس به؛ ولذا ضُرب مثلًا في القرآن للدنيا في ثلاثة مواطن: سورة يونس، سورة الكهف، سورة الحديد. وكلها تجتمع في شيء واحد، وهو أن الدنيا مُثّلت مثل الزرع: (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)[16] فكأنه يقال: تصور الدنيا كيف أنها سريعة الذهاب، كأنك ترى عقدًا من الورد أو الفل،

[16]() الحديد: 20.

تضعه في مكان بارز، رائحته جميلة وشكله جميل، لكن ما يلبث ليلة ثم يصبح قاذورات! هكذا بالضبط الدنيا، فالذي يتصورها على حقيقتها، ينظر للزرع وينظر الدنيا ويتصورها على حقيقته، ما الأثر الذي يعود عليه؟ يقتنع بدناءة الدنيا؛ ولذا في سورة يونس لما وصف الله الدنيا قال: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[17] يعني هذه الدنيا ليست دار سلام، والله يدعوك إلى دار السلام.

وفي الكهف قال في حقيقة الدنيا: (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا)[18].

وفي الحديد عندما أخبرنا عن حقيقة الدنيا قال: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)[19].

فكأن من يعرف حقيقة الدنيا -خصوصًا مع تقريب المثل- سيترك الدنيا وسيسابق لمغفرة ولدار السلام ويكثر من الصالحات.

إذًا الأمثال تُضرب في القرآن وفي السنة من أجل تقريب الحق، ويستعملها العالم الذي يفهم، وليس الناس الذين يقيسون، كنا في

---

[17]() يونس: 25.

[18]() الكهف:46.

[19]() الحديد: 21.

المرة الماضية حذّرنا من القياس الفاسد، وضربنا مثالًا على القياس الفاسد، إن النساء يسيرون في المسعى ويرون الرجال يهرولون بين العلمين، فيأتي قياس فاسد في عقلها وتقول: "هاجر أول من هرول!" معنى ذلك أن المرأة تهرول! ولماذا الرجل يهرول والمرأة لا تهرول! فتقيس قياسًا فاسدًا وتهرول. وهو قياس من جاهل، أصلًا هاجر عندما هرولت لم تكن هرولتها من ضمن الشرع، يعني الفعل كله لم يكن شرعًا، بل أصبح شرعًا لما شرّعه الله، وهو قياس فاسد؛ لأن النبي كان معه النساء والرجال ولم يأمر النساء بذلك، فلا تقِس بعقلك على الدين.

الآن من يقيس ومن يضرب المثل؟ العلماء، عندما يقيسون ويضربون المثل، تعلم أن العالم يمكنه ضرب المثل، وهذا ما يريد أن يقوله البخاري -رحمه الله-: إنه ليس ممنوع ضرب الأمثال ولا القياس عمومًا، لكن ممنوع على الجاهل، والعالم يمكنه أن يضرب مثالًا ويقيس، والله في كتابه ضرب الأمثلة وقرّب المعاني والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- في سنته ضرب الأمثلة.

ليتضح المعنى نبدأ بالحديث الثاني، ثم نرجع للحديث الأول.

ماذا يريد البخاري بإيراد الحديثين؟ يريد أن يقول إن العلماء يستطيعون أن يشبّهوا أصلًا معلومًا، بأصل مبيّن ويقيسوهما على بعضهما، ويبيّنون لمن أمامهم عن طريق المثل، فإذا ضرب العالم مثلًا، فلا مانع، الممنوع: أن يقيس الجاهل ويصدر أحكامًا؛ لأن عقله قاس المسائل! خصوصًا -كما اتفقنا- أننا مع قدرتنا على القراءة، أصبحنا نرى أنفسنا أننا جديرون بأن نحكم، وكثير من الفوضى الحاصلة في مسألة الفتوى، أن يقول أحد: "بذلك سنكون مثل النصارى، يكون العلم حكرًا على العلماء!" نقول: النصارى لم يجعلوا للعلم طريقًا، توارثوه وحكروه على أنفسهم، هذا الباب له طريق، تريد أن تكون عالمًا، ابذل الجهد وسِر في الطريق تصبح عالمًا، وليس أن تنام على أريكتك وتقرأ في الأجهزة وتخرج بحكم! اجتهد وتعلم وسِر في الطريق. فرق كبير بيننا وبين النصارى، أولئك حصروا على أنفسهم العلم وجعلوا طريقه هم، والأحكام من عندهم! وهنا نقول: من يعلم هو الذي سار في طريق العلم، ولتسهل المسألة نأتي بمثال: هل تقبل من أحد قرأ ثقافة في الطب أن يأتي ليعالجك؟! لا، خوفًا على أبداننا، وماذا

عن القلوب التي سنلقى بها ربنا، وهي التي ينظر الله إليها في دنيانا، وعندما نلقاه تخرج حقائقها وتُفحص، أليست هي أولى بالحفظ؟ بلى، هي أولى بالحفظ. فطبيب القلب العالم، وطبيب البدن هذا الطبيب المعلوم، وقد تستغني عن طب البدن إذا تطبب قلبك، لكن إن لم يتطبب قلبك فلا حل.

نبدأ بالحديث الثاني لنتصور كيف يمكن ضرب الأمثلة وبيانها، الحكم يكون واضحًا، وليُقرّب الحكم يُضرب مثال:

(امرأة أتت للنبي وقالت إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟) تسأل هل يجب عليها أن تحج عن أمها؛ لأن أمها نذرت؟

(قَالَ: "نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا) هذا هو الحكم، ويريد أن يقرّب لها الحكم من أجل أن تزداد قناعة فقال: (أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟) من الطبيعي برًا بها ستقضيه.

(قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: "فَاقْضُوا الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ") يعني النذر يعتبر دينًا والمطلوب منها أن تعتبره دينًا فتقضي عن أمها. يعني في الأصل الحكم واضح، حكم النبي بالحكم، ثم أراد

تقريبه لها من أجل أن تزداد قناعتها، فلا مانع من ضرب المثال وتقريبه من أجل أن تزداد القناعة، وهذا الكلام يأتي من العلماء.

نفهم الحديث الأول بناء على ذلك، وفهمه يحتاج إلى تصور القصة، أبو هريرة يقول إن: (أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ) يعني الطفل أتى بلون مختلف عن لون العائلة، فهو أنكره بمعنى وقع في قلبه شبهة أن زوجته وقعت في الزنا، الآن الحكم: أنه بما أنه ما كان هناك شك قبل الولادة، معناه أنه لا يحق له أن ينفي الولد؛ لأن «الولدُ للفِراشِ»[20]بمعنى الحكم أن الولد لفراش الزوجية التي ولِد عليها، بمعنى يُنسب لوالده، أما إن شكّ فيها وهي حامل، واتهمها، فهذا أمر آخر فتحصل الملاعنة، لكن هنا الولد للفراش والحكم معلوم، لكن أراد النبي أن يبين له أنه ليس من حقه نفي الولد، فقرّب له المسألة، ولاحظوا قوة فهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، الرجل أعرابي وأقرب ما يفهمه الإبل، (فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم- : "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ " قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَمَا أَلْوَانُهَا؟ " قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: "هَلْ فِيهَا مِنْ

[20]() أخرجه البخاري (6818).

أَوْرَقَ؟) يعني البعير الأسود كأن فيه بياض، أورق تأتي بمعانٍ كثيرة والمقصود أن لونه مخالف لبقية الإبل.

(قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: "فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟) من أين أتاها.

(قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِرْقٌ نَزَعَهَا) يعني يفهم في الإبل ويعلم أنه لا بد أنه كان من أجدادها من كان هذا لونه، والعرق نزعها، بمعنى ما نسميه الوراثة.

(قَالَ: "وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ") يعني قاس هذه المسألة بمسألة الولد ولم يرخص له (وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الاِنْتِفَاءِ مِنْهُ.) يعني هو لا يحق له الانتفاء، لكنه أراد أن يقرب له المسالة، فقال: "قد يأتيك ولد مختلف لونه عنك بسبب عرق نزعه" ما استطاع أن يفهمها في حال الإنسان، فجعله يفهمها في حال الإبل، وجعله يقول ما يزيده قناعة إلى أن يصل.

من جهة وصف النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: هذا وصف كمال، أنه بهذه الصورة يوصل المسائل بكل لطف.

ومن جهة فهمنا: أنه يصح لمن كان معه الحق أن يقربه بمثل، بمعنى ليس ضرب الأمثال ممنوع، إنما القياس وضرب الأمثال ممنوع على الجاهل، وقد ذكرت لكم سابقًا أن أول ما بدأ الحرم المكي فيه الطواف في الدور الثاني، طواف واسع، أتى من قاس قياس، وقال: "المساحة في الدور الأول سبعة أشواط وقد تساوي شوطًا واحدًا في الدور الثاني لسعة المسافة!" وقرر أن يطوف شوطًا واحدًا! فهذه القياسات ما أكثرها في الحرم!

انتهى الوقت، نسأل الله أن ينفعنا بما سمعتم!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## اللقاء السادس عشر

باب مَا جَاءَ فِي اجْتِهَادِ الْقُضَاةِ في الحكم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- : "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن قُبلت أعماله خصوصًا في هذا المكان المبارك فإن من منّة الله على عباده المؤمنين أن جعل لهم مثل هذا المكان الأمين، تضاعف فيه الحسنات وتعظّم فيه الدرجات، فنسأل الله أن نكون ممن قُبلت صلاته بمائة ألف صلاة، وهو سبحانه الشكور فهو يزيد عباده، يقول سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)[21] فنسأل الله باسميه الغفور، الشكور، أن يغفر لنا تقصيرنا في العمل، وأن يشكر لنا قليل عملنا اللهم آمين!

[21]() فاطر: 29-30.

نحن نتدارس هذا الجزء من كتاب صحيح البخاري الذي سماه الاعتصام بالكتاب والسنة، وهذه المسألة المهمة نحن نحتاج أن نزداد عناية بها اليوم خاصة، فإن أمام أعيننا الناس يتخطفون من الفتن، فبين متكلم في الإلحاد وبين من دخل في الإرهاب وبينهم أهل الإرجاء، كل هذه البلاءات التي ابتلي بها أهل السنة والجماعة مرجعها وسببها: أنهم لم يعتصموا بالكتاب والسنة كما ينبغي في نفوسهم، ولم يربّوا الأبناء على الاعتصام بالكتاب والسنة، وظننا أن الإيمان يُتوارث كما يتوارث الناس جيناتهم، وظننا أن التوحيد ينتقل كما تنتقل صورة الإنسان الخارجية! والحقيقة أن اعتقاد القلب والإيمان لا تقليد فيه، فالمفترض أن تنتقل اعتقادات القلوب بالمخاطبة والبيان والاهتمام، كما أن أعمال الجوارح لا يمكن أن تكون صحيحة إلا بالنظر والتقليد، يعني في الصلاة نعلمهم عندما يروننا يصلون مثلنا، لكن في اعتقاد القلب لا بد أن تكون هناك مناقشات وبيان حتى يكون الناتج: الاعتصام بالكتاب والسنة.

في هذا المجلس نناقش هذا الجزء من صحيح البخاري ونناقش فيه الأدلة التي وردت على أهمية الاعتصام، وكيف يكون هذا الاعتصام، وقد بدأنا من بداية الكتاب وأورد البخاري في بداية الكتاب هذه الآية العظيمة التي قال فيها -سبحانه وتعالى- واصفًا الدين والكتاب: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ) فهذا الذي أكلمه الله وهذا الذي أتمّه الله وهذا الذي رضيه الله، المفترض أن يكون موقفنا منه اليقين به والاكتفاء به؛ ولذا دائمًا نكرر على أنفسنا: المؤمن هو الذي يستغني بالقرآن عن غيره والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول: «ليس منَّا مَن لم يتغَنَّ بالقرآنِ»[22]. أي: لم يستغنِ به عن غيره في كل باب؛ لأن الله أكمله وأتمّه ورضيه، فإذا قلت: "رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولًا" فرضاك معناه ألا تتخذ غير الكتاب والسنة دليلًا في الحياة، لا تأخذ أفكار الناس، ولا تستورد من هنا وهنا ما يجب أن يكون مستقرًا في قلبك عن الحياة أو عن علاقاتك بالخلق، وعندما نقف عند هذه النقطة نذكر أنفسنا بأننا لا نقصد عدم استيراد الحضارة المتصلة بالأرض، فإعمار الأرض حق

[22]() أخرجه البخاري (7527).

لكل مجتهد، لكن النفوس لا يعمرها إلا كتاب الله وسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فما دخلنا فيه من الكلام حول تطوير الذات وحول رقيّها ورقي العلاقات الاجتماعية بالكلام المستورد، يعتبر جريمة في حق الرضا بكتاب الله وبسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ لأن من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا، لم يأخذ غيرهما منهجًا في الحياة، قلبه يعتقد ما قاله الله وقاله رسول الله. فإذا نظر هذا المؤمن إلى ما يقوله الله، تصور كل الحياة، فأكثر ما يوترنا في الحياة علاقتنا بالناس، والله يقول في سورة الفرقان: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) هذا منهج ينهي كل المشاكل في العلاقات، ما العلاقة بينك وبين الناس أيّا كانوا؟ (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) يعني اختبار، والمطلوب (أَتَصْبِرُونَ)؟ وإن صبرت ستتجاوز العقبة وتخرج من الأزمة وستحل كثير وقليل المشاكل، لو اتخذت هذا منهجًا، فماذا نقول عندما نلقى ربنا ولم نتخذ هذا منهجًا؟! لم نقرؤه في القرآن؟ لم نفهم معناه! لا نستطيع قول هذا؛ لأن الآية تامة الوضوح: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) لا أحتاج في

مثل هذا الموضوع أن أستشير أو أن أدخل دورة وأقوي مهاراتي في العلاقات، ولا أن أضرب يمينًا ويسارًا وأقرأ هؤلاء ماذا قالوا! الذي خلق الناس وقدّر الأقدار وجعل في القلوب هذه المشاعر قال لك: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) إذًا هذا المنهج يكفينا في الحياة.

النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لما وصف الكتاب والسنة قال: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ». يعني كلمة يسيرة ورائها معانٍ غزيرة، كلمة واحدة تعيش بها كل العلاقات، مع الزوج، مع الأبناء، مع الجيران، مع من يعمل معك، مع القريب والبعيد، ومن يصلي بجانبك...مع كل الناس كلمة بسيطة: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ).

«بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ» كلمة واحدة تكفيك أن تضعها في كل الأماكن، ولا تحتاج لكلام كثير، وهذا يتوقف على قدر يقينك بأن هذا الكتاب العظيم قد نزل من الرب الكريم (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)[23]، عليم بأحوالكم وفي الكتاب جوامع الكلم، فإذا كان في الكتاب جوامع الكلم، فكل ما تريده موجود في جمل، كل ما تريده موجود في كتاب الله، عندما يقول لك عن الموت والحياة: (لِيَبْلُوَكُمْ

[23]() غافر: 2.

أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)[24] انتهى، هذا الذي نحن فيه، كل شيء حولنا اختبار، عندما تسمع قوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ)[25] إذًا هذه حقيقة الحياة الدنيا، وهكذا إلى أن تصبح قناعات الإنسان وتفكيره وأسلوبه بالنظر في الأمور كلها من كلام الله وكلام رسوله، فالمعتصم عينه ترى الحياة من وراء كتاب الله وسنة رسول الله، ولا يحتاج أن يستورد نظرية لا شرقية ولا غربية، لا في التربية ولا في الاقتصاد ولا التعليم. لماذا؟ لأن ما بين يديه قد أكمله الله، أتمّه الله، ورضيه الله، فمن كان في قلبه هذه القناعة عليه أن يتعلم ما نزل من الله، ولا يقع في أيّ من التقصيرين:

التقصير الأول: عدم الاستغناء بالكتاب والسنة عن غيرهما.

النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ» ، فستجد في كتاب الله كل ما تريد، وراء الكلام القليل معانٍ كثيرة، ولا يقل أحد: "كان هذا نافعًا في زمن النبي!" فالذي أنزل الكتاب هو العزيز

---

[24] () الملك: 2.

[25] () الحديد:20.

العليم، قال تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)[26] الذي يعلم أحوال الخلق.

التقصير الثاني: عندما يقول: "لا أجد في كتاب الله ما أريد وأحتاج أن أستورد أفكارًا!"، اعلم أن هذا الكتاب موجود فيه كل ما يحتاجه الإنسان، كيف آخذه؟ أقبِل على الكتاب وتعلمه، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الله منّ علينا بكل وسائل التعلم، وكما نشتكي أن الفتن كثيرة، نشكر الله على أن أسباب التعلم أصبحت يسيرة، لكن عندما تأتي لتتعلم لا بد أن تتعلم على منهج الكتاب والسنة، على منهج رسول الله -صلَّى الله عليه وسلّم- وأصحابه الكرام ولا يخطفوك في الطريق؛ لأن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لما وصف الطريق الذي يوصل لله، أخبر أن على الطرق أبوابًا مغلقة بسُتر، فمن فتح السُتر؛ دخل وزلّت قدمه، وهكذا كل من خالف الكتاب والسنة، مثلًا عبد الرحمن ابن ملجم، هذا اسم من الأسماء التي يلعنها المسلمون دائمًا والسبب: أنه قتل عليًا -رضي الله عنه- ويرى قتله لعلي قربة إلى الله! هذا كيف خرج على جماعة المسلمين، بعد أن كان حافظًا للقرآن، قارئًا له، ومعلمًا

[26]() غافر: 2.

للناس؟ كيف ممكن أن يسير الإنسان في الطريق ثم تزل قدمه؟ تزل قدمه لأنه ترك عقله يحكم على كلام الله ويفسر كلام الله، ترك غيره يخطفه بالأفكار، وهذا اليوم يتوّلاه كثير، ها هي شاشات الإعلام تأتي وتقول: "خطأ أن تفعل كذا"، ولا تتبين مَن هؤلاء ولا على أي منهج يتكلمون، إلى أن اختلط الحق بالباطل وأصبح الناس لا يعلمون الطريق الصحيح للوصول لرب العالمين، لكن المسألة تحتاج منّا قبل أن نبحث عن طريق حسّي أن نصدق في قولنا: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)! هذه الكلمة العظيمة التي يجيب رب العالمين للصادق في قولها، بقوله: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[27] يعني إذا سألته أن يهديك الصراط المستقيم وأنت صادق، يقول لك الله: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»، وسيهدي الله الإنسان الطريق المستقيم وأول الطريق: العلم بالكتاب والسنة على منهج النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، بالطريق الصحيح يصل الإنسان إلى أن يصبح هذا العلم يقينيًا وليس مجرد معرفة. نسأل الله لنا وللمسلمين أن نستدل الطريق المستقيم ونكون أهلًا للصراط المستقيم وممن اتبع الرسول الكريم! ومن المعلوم

---

[27]() أخرجه مسلم (395).

أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- له حوض يوم القيامة ويشرب منه المؤمنون، والمؤمنون لهم علامة أنهم غرٌّ محجّلون، لكن هؤلاء ربما مع صلاتهم ينحرفون فيبتدعون فيقتربون من حوض النبي، والنبي يعرفهم بهذه العلامة، ثم تأتي الملائكة وتمنعهم من الشرب من الحوض! والسبب: تقول الملائكة للنبي: «إنك لا تدْري ما أحدَثوا بعدكَ»[28] فعلى هذا، من الأخطار العظيمة أن نترك الاعتصام بالكتاب العظيم وبسنة النبي الكريم؛ لأن أثره -وإن كنا في الظاهر على الصراط المستقيم- أن نأتي يوم القيامة وتظهر آثار البدعة من المنع من الشرب من حوض النبي صلَّى الله عليه وسلَّم.

موضوع الاعتصام لا بد أن يتكرر علينا ونكون جامعين قلوبنا حوله؛ لأن الاعتصام بالكتاب والسنة امتثالٌ لأمر من أوامر الله، يقول الله: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)[29] اعتصموا فعل أمر، عندما تعتصم بالكتاب والسنة تعتبر قد امتثلت أمر الله ونجوت، وقد ورد في الحديث: «فإنَّ هذا القرآنَ سبَبٌ طرَفُه بيدِ

---

[28]() أخرجه البخاري (6576).

[29]() آل عمران: 103.

اللهِ وطرَفُه بأيديكم فتمسَّكوا به فإنَّكم لنْ تضِلُّوا ولن تهلِكوا بعدَه أبدًا»[30]، وهذا معناه أن تتصور أن الناس كأنهم غرقى في بحر لجّيّ ثم يمد الله لهم بحبل فيتمسكوا فينجوا، أسأل الله أن نكون من أهل النجاة!

كنا قد تناقشنا في أمور تفصيلية ملخصها: أنه يجب علينا أن نكون معتقدين أن هذا الكتاب كاملٌ فنستغني به عن أي فكر، ثم نُقبل عليه فنتعلمه ونسأل عنه وإذا سألنا ألا نتعدى حدودنا في السؤال، بل نلتزم بأن نسأل عما يزيدنا إيمانًا، وكنا نقول أيضًا من الأمور المهمة التي قررها في الكتاب أن اهتمامنا بالكتاب والسنة لا يعني أن أتعالم فيهما أو أن أتكلم على الله بلا علم، اليوم أزمتنا الثقافة فيتصور الناس الدين مثل الثقافة، وكثير من الناس يجيدون القراءة، فيقرؤون فيظنون أنهم علماء، فتجدهم في مجالسهم يتكلمون عن الدين كأنهم يتكلمون عن الأمر الهين! فنحن نريد أن نُقبل على الكتاب والسنة، ونعتصم بهما ونتعلمهما ونسأل عنهما، ولكن لا نتعالم فيهما، ولا نتكلم على الله بلا علم؛ لأن جريمة الكلام على الله بلا علم في منزلة الشرك، وربما أعلى منه! واليوم

---

[30]() أخرجه ابن حبان (122).

من أجل أن الناس قد نُفخ فيهم أنهم يستطيعون وأنهم مثقفون ومتعلمون، فلم يعد هناك حدود وكل شيء يتجرؤون عليه! حتى الأحكام الشرعية يأتي من يقول: "لست بمقتنع بها وأشعر أن الحكم كذا، ولست متصورًا أن هذا كلام يمكنه أن يقوله النبي!" فأصبح الدين للأذواق، أصبح الدين كأنه يُفصّل على كل فئة، مثلًا الأغنياء لا يريدون التخويف ويريدون نصوص الرجاء والله غفور رحيم، ومن في نفوسهم ميل للشدة وطباعهم شديدة، لا يريدون نصوص المغفرة والكلام عن الرحمة! بل يريدون آيات العذاب، وهكذا حتى تنازع الدين أهواء الناس وآرائهم، اهتم بالدين وتعلمه وكن عن الصراط المستقيم ولا تتكلم فيه بلا علم، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) جريمة القول على الله بلا علم، تجعل دينًا غير الدين.

فالمقصد أن مع سيرنا واهتمامنا واعتصامنا، لا تغررنا أنفسنا أننا أذكياء ونستطيع الكلام في كل شيء! هذا معناه أن نقع في إثم عظيم، نسأل الله أن يحفظنا!

نبدأ اليوم في الباب الثالث عشر من الكتاب:

باب مَا جَاءَ فِي اجْتِهَادِ الْقُضَاةِ في الحكم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى

لِقَوْلِهِ: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

وَمَدَحَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلّم- صَاحِبَ الْحِكْمَةِ حِينَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا، لَا يَتَكَلَّفُ مِنْ قِبَلِهِ.

وَمُشَاوَرَةِ الْخُلَفَاءِ وَسُؤَالِهِمْ أَهْلَ الْعِلْمِ.

← طريقة البخاري عند كل باب أن يعقد اسمًا للباب.

في هذا الباب كأنه يقول: حتى من تمكّن من العلم لا يتسرّع، حتى من كان عنده علم عليه أن يحترز من أن يتكلم بدون أن يشاور من هو أعلم منه، وسيتبين لنا من خلال الحديثين الواردين في الكتاب، أن هذا مسلكٌ لابد أن نكون عليه ونربي أبناءنا عليه؛ لأن الأبناء عندما يرون الآباء يقتحمون الدين ويتكلمون بآرائهم سيكون مسلك الأبناء عدم تعظيم الكتاب والسنة! وهذه هي

الأزمة؛ لأن الناس لما خطّت أقلامهم في كتاب الله انتقادًا كان السبب: أن الإنسان لم يُعظّم الله حق التعظيم، ومن ثمّ لم يُعظّم كلام الله حق التعظيم، ولم يُعظّم كلام رسول الله حق التعظيم، لكن إذا كان الإنسان يعلم مكانة هذا الكتاب العظيم ويعظّم الله كما ينبغي، حتى وإن كان قاضيًا فسيجتهد، قال: (باب مَا جَاءَ فِي اجْتِهَادِ الْقُضَاةِ) يعني حتى وإن كان قاضيًا وعنده علم -لا يعتقد أنه ذكي ويعلم المسألة مباشرة!- لا بد أن يجتهد في بيان المسألة وتطبيقها على أمر الله.

معناه أن هذا الدين محاطٌ بالحصانة، من عظّمه حقًا لا يدخله بمجرد شعوره أنه ذكي أو يفهم! هذا الدين يحتاج إلى اجتهاد حتى في فهمه وبيانه، المشكلة إن أتينا للتعليم، سنرى الناس لو أنهم يدرسون شيئًا في الدين أو الرياضيات أو العلوم، ما الشيء الذي يحتاج لاجتهاد من وجهة نظرهم؟ كل ما يتصل بالرياضيات والعلوم، أما الدين فيدخله أي أحد، وسهل، وقد يتناوله بأيسر ما يكون من عقول! وهذا خلاف الحقيقة، لكن لأن الأمور أصبحت سطحية وأصبح لا يؤخذ من الدين إلا ما يأتي على الأهواء؛

تصورنا المسألة بهذه الطريقة، والصحيح -كما يقول البخاري- أن المطلوب حتى من القاضي الذي مرّت عليه قضايا كثيرة، ويفهم كثيرًا، أن يجتهد في كل مسألة تأتيه، يفهم المسألة ويرى: هل ينطبق عليها حكم الله أو لا؟ سيأتينا الحديث ويتبين الأمر كما ينبغي.

• حدثنا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم- : "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا".

← سنبدأ في الحديث الأول وهو حديث مشهور فيه أن النبي قال:

(لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا) المقصود بالحسد هنا الغِبطة؛ أن يتمنى الإنسان مثل ما عند غيره، دون أن يزول عن غيره، فلا شيء تراه عند الناس يستحق أن تتمناه، إلا هذين الأمرين: رجل أعطاه الله مالًا فهو ينفقه في قربة من القرب إلى الله.

(فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ) يعني اعتنى بالمال وأنفقه، لكن ليس على ما يوافق هواه، وإنما وفق ما يقربه من الله.

(وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا) ورجل آتاه الله ذكاءً وفهمًا -وهو الحكمة- فتجده قد اغتنمهم في العلم النافع في الحكم وفي التعليم.

سنعود لأول المسألة عند مسألة الحسد أو الغِبطة:

يقول الله في خطابه لنبيه ولكل من يصلح له الخطاب: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)[31] يعني المطلوب منّا عندما نواجه أحدًا لديه شيء من زهرة الحياة الدنيا، أن نغض البصر. مثلًا تصلي امرأة بجانبك وساعتها تلمع، المطلوب منك غض البصر، تدخل بيوت الناس وترى عندهم ما عندهم، المطلوب منك غض البصر، يعني كما تطلبون من محارمكم أن لا يرفعوا أعينهم في النساء، وأن يغضوا البصر -وهذا مطلوب من الرجال والنساء-، فالمطلوب منّا جميعًا غض البصر إذا رأينا عند الناس شيئًا من زهرة الدنيا، ولا

[31]() طه: 131.

نفكر ولا ندقق، ونحن الآن تطورنا وأصبحنا نسأل الناس: "هذا بكم ومن أين اشتريتموه؟!".

لماذا قال تعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)؟ لأن الله أعطاهم إياها (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) هذا اختبارهم، فكن حذرًا من أن تدخل مع غيرك في فتنة الدنيا وأنت لا تملكها، فأنت لا تملكها، وليست اختبارك، وتجد قلبك قد اشتاق لها! فأنت تجرم في حق نفسك حينما تفعل هذا الفعل، قلبك مكان لذكر الله ولذكر الدار الآخرة، الشوق الذي في قلبك المفترض أن يكون منحصرًا في الشوق لما عند الله؛ لأن الدنيا مجرد زهرة عمرها لا شيء في عمر الحياة، وهكذا كل ما في الدنيا زهرة الحياة الدنيا.

إذًا المطلوب منك ألا تنظر حتى لا يقع في قلبك الشوق لشيء من الدنيا، إلا في موطنين عندما تراهم، حينئذ عليك أن تشتاق إليهما وتتمنى من الله أن يعطيكهما دون أن يزولا عن غيرك،

الموطن الأول: أن ترى أحدًا قد أنعم الله عليه بمال فهو يسلّطه على هلكته، يعني لا يحسب كل شيء، بل كأنه يهلك ماله إهلاكًا،

كل ما يملك ينفقه في سبيل الله، فتتمنى أن يكون حالك مثل حاله من الجهتين: أن تُرزق فتنفق؛ لأن هناك من عاهد الله كما في سورة التوبة لإن آتاهم صالحًا أن ينفقوا في سبيل الله، ثم لمّا آتاهم بخلوا به؛ فأعقبهم نفاقًا إلى يوم القيامة.

إذًا المقصود أن الدنيا لا تستحق أن تتمناها إلا في هاتين الموطنين.

الموطن الثاني: أن ترى في الدنيا أحدًا قد آتاه الله ذكاءً وفطنة ووجد من فضل الله من يهتم به ويعلمه فشقّ الطريق وتعلم، ثم قرأ ودرس كتاب الله وسنة رسول الله وعلم أن فيهما جوامع الكلم. فعندما تجد مثل هذا وقد أنعم الله عليه بالعلم ثم أنعم عليه بأن يعلّم الناس أو يحكم بينهم أو يرشدهم، مثل هذا يحتاج منك أن تنظر له على أنه قد أُنعم عليه وتتمنى أن تكون مثله في العلم والفهم وخدمة الناس وتعليمهم.

هذه المسألة ترشدنا إلى أن كل من رأى في أبنائه فطنة، المفترض أن يوجههم للعلم؛ لأن العلم بكلام الله ورسوله يحتاج من له فطنة وذكاء؛ لأن هذا الكتاب العظيم لا يُعطي أسراره إلا

لمن اجتهد وأقبل عليه، المشكلة أننا كلما رأينا أحدًا فطينًا من أبنائنا نقول: "حرام أن نوجّهه للأقسام الشرعية وعلينا أن ننقله للأقسام العلمية!" هذا التفكير له أسباب متتابعة، ومن أن أتى الاستعمار وخطّ خطته إلى أن أصبحت اللغة العربية والدين متأخرة في الدراسة، في حين أن العلم الذي ورد عن الله هو العلم، وغير ذلك من العلم فهو من كلام الناس، القابل للتغيير! اليوم يقولون: "الأرض تدور حول الشمس" وغدًا يغيرون النظرية ويتلاعبون بك، اليوم يقولون: "لا تأكل كذا" وغدًا يقولون العكس! يتلاعبون بالناس وبتفكيرهم وبعلومهم على حسب الهوى وعلى حسب سوق البيع والشراء، ما من حق إلا ما في كتاب الله وسنة رسوله، ومن يتعلمهما يزداد فطنة وفهمًا وإرشادًا وسلوكًا حسنًا، يصبح هو بنفسه سلوكه حسن ويستطيع أن يرشد الناس للحق.

عندما يكون الإنسان فهيمًا يستطيع أن يكون في أي تخصص من تخصصات الدنيا ويجمع إليه العلم الشرعي، يعني العلم الشرعي لابد أن تجري في دمائنا العناية به، العلم الشرعي المفترض أن يكون مكتسبًا ويكون دائما عندنا، ألسنا نعلم أن

النجاة في كتاب الله وأن هؤلاء العلماء لهم مرتبة عند الله، والأنبياء عندما ورّثوا ورثوا العلم، وأن من تعلم الكتاب والسنة أصبح وريثًا للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- فكيف نترك ميراث الأنبياء ونذهب بعيدًا؟! ونعلم موقف أبي هريرة عندما خرج للناس في السوق وهم يبيعون ويشترون وقال: "كيف تبيعون وتشترون وميراث محمد -صلَّى الله عليه وسلَّم- يُقسم في المسجد؟" فتركوا البيع والشراء وذهبوا لمسجد النبي وهذا كان بعد موته -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فما وجدوا إلا حِلق العلم، فعادوا وقالوا: "ما وجدنا شيئًا!" فقال لهم: "هذا ميراث النبي صلَّى الله عليه وسلَّم!" فكيف يكون قريبًا وفي متناول اليد ثم نمنع أنفسنا وأبناءنا عنه؟! وكلما زاد الابن فطنة وفهمًا كلما جمعنا له بين الدنيا والآخرة، وعلوم الشريعة تجتمع مع غيرها وتزيد الأبناء فطنة وضبطًا لأنفسهم ولسلوكهم وتزيدهم بركة وكلٌ ميسر لما خُلق له، فنحن نحتاج إلى طبيب معه إيمان، ومهندس معه إيمان وفي كل مجال نحتاج لمن يسدّ الثغر ومعه إيمان؛ لأن الإيمان هو الذي ينفع، عندما يكون الإنسان مؤمنًا، تقيًا، فلن يغش المسلمين،

لكن ها هم الناس في كل الثغرات موجودون ولا يملكون إيمانًا! وانظر كيف يغشون المسلمين وهم من أبناء جلدتنا.

إذًا تولّي أمور الإرشاد والتعليم يجب أن يكون للمجتهد، ليس لمن يجلس على أريكته ولم يدرس ولم يتعلم ثم يتكلم ويقول: "رأيي كذا!" اليوم من سهولة خروج الناس على وسائل الإعلام تجد أي شخص وردت له فكرة يسجلها ويرسلها، والناس يسمعون ويقرؤون ويتفرقون! كما حصل من فترة، خرج من يقول: "لا تقولوا: «وتعالى جَدُّكَ»[32] ؛ لأن الله ليس له جدّ!" من قال هنا إن المعنى المقصود هو الجد أب الأب؟! إنما في اللغة جَدُّكَ تأتي بهذا المعنى وتأتي بمعنى المجد، وهذا نقرؤه في القرآن، نقرأ في سورة الجن: (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا)[33] ، فتجده فكر بعقله فسجل وأرسل وتجد الناس يسمعون ويستغفرون عما مضى؟! كيف يكون الدين لعبة لمن أراد؟! لا يتكلم في الدين إلا من كان فطينًا، لا يحتاج حتى لمن هو حافظ فقط بل يحتاج لمن يكون فطينًا لما يسمعه من كلام الله وكلام رسوله، فطينًا في

---

[32]() أخرجه الدارقطني (1145).

[33]() الجن: 2.

الوقت الذي يكلم فيه الناس، فطينًا لطريقة إرشادهم، هذا كله معناه أنه يجب أن نجتهد في تعلم الدين لمن لديه القدرات.

وهذا كله يعيدنا لنقطة أن المعتصم بالكتاب والسنة الذي يجد في نفسه قوة وذكاء تمكنه من الفهم فعليه أن يجتهد في تعلمهما، مهما كان عمره، النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- بُعث وعمره أربعون سنة، وأرسل بهذه السنة وعلم الناس وهو في الخمسين والستين، ومثله أبو بكر وعمر، فلا يقول أحد إنه قد بلغ من العمر الذي لا يستطيع معه أن يتعلم، في أي عمر تستطيع أن تتعلم مادامت لديك الأداة، واليوم الأمور سهلة لكن نعود لجملة واحدة وهي: الاجتهاد على ما كان عليه السلف الصالح، لا نجتهد من عندنا، بل نتعلم مثلما تعلموا ونجتهد مع وجود الأداة، ويعلم كل شخص ما مقدار عقله فإما يبدأ في نفع نفسه في التعلم وإما يتقدم فيستطيع أن ينفع غيره، لكن المهم أن نكون على منهج السلف الصالح ونجتهد إن كانت لدينا قدرة ولا نخترع، إما أن تجتهد وتتعلم أو تكفي المسلمين شرّك، لا تنشر شيئًا لا تعلمه.

ننتقل للحديث التالي:

• حدثنا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ إِمْلَاصِ الْمَرْأَةِ - هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بَطْنُهَا فَتُلْقِي جَنِينًا - فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فِيهِ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يَقُولُ: "فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ، أَوْ أَمَةٌ"، فَقَالَ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَجِيئَنِي بِالْمَخْرَجِ فِيمَا قُلْتَ، فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، فَجِئْتُ بِهِ فَشَهِدَ مَعِي أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يَقُولُ: "فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ، أَوْ أَمَةٌ".

تَابَعَهُ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ

← هذه حكاية تزيد الأمر بيانًا مع عمر رضي الله عنه.

هذا مغيرة بن شعبة يقول: (سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ إِمْلَاصِ الْمَرْأَةِ -هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بَطْنُهَا فَتُلْقِي جَنِينًا-) بمعنى سقوط جنينها نتيجة أن أحدًا ضربها يعني ليس سقطًا عاديًا، هذا موقف حصل في عهد عمر -رضي الله عنه- أن امرأة ضُربت فسقط جنينها فأتوا يسألون عمر ليقضي بينهم، فعندما سألوه ما عرف وما قاس بعقله بل قام فخطب.

(فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فِيهِ شَيْئًا؟) يعني عندما أتته المسألة لم يفتِ بل قام وخطب وسأل: "من سمع من النبي شيئًا؟" قام المغيرة بن شعبة فقال: "أَنَا، فَقَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يَقُولُ: "فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ، أَوْ أَمَةٌ" يعني العتق، يعتق عبدٌ أو أمة، واختلف أهل العلم في سنّهم كبيرًا أو صغيرًا. أتاه حكم من المغيرة بأن هذا حصل في زمن النبي وحكم النبي بهذا، لكنه لم يقبل من شخص واحد، فخاف أن يكون هذا القول ضل فيه الصحابي. (فَقَالَ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَجِيئَنِي بِالْمَخْرَجِ فِيمَا قُلْتَ)، يعني ائتِ بشخص آخر يشهد بهذه المسألة.

(فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، فَجِئْتُ بِهِ) يعني خرج يسأل: "من حضر المسألة؟ فوجد محمد بن مسلمة.

قال: (فَشَهِدَ مَعِي أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يَقُولُ: "فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ، أَوْ أَمَةٌ").

المعنى من موقف عمر أنه اجتهد في أن يبحث عن نص قبل أن يجتهد أن يقيس، كان يستطيع أن يقيس بناء على ما شهد عليه من أحداث حدثت في زمن النبي، لكنه لم يفعل ذلك بل اجتهد في

البحث عن نص وما اعتمد على ذكائه ولا صحبته، اجتهد فخطب فلما أتاه تأكد من الأمر بأن يأتي بصحابي آخر أيضًا، فهذا المسلك لابد أن يكون مسلكنا كلنا خصوصًا فيمن تقدم في خطاب الناس وتعليمهم، لابد من الاجتهاد، وهذا الكلام نؤكد عليه لأننا في زمن يستطيع أي شخص بيسر وسهولة أن يقرأ أي شيء في علوم الفقه ويتفلسف على الناس! المسألة ليست بهذه الطريقة، والقول على الله بلا علم جريمة ونحن نحتاج من الأذكياء أن يجمعوا قواهم في تعلم كتاب الله وسنة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم.

ننتقل للباب التالي:

## بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- : "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"

• حدثنا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ"، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟! فَقَالَ: "وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ؟ ".

← لنرى العلاقة بين ما مضى وبين هذا الباب.

إن لم يحصل اجتهاد في معرفة الشرع ولم ينكب الناس على الكتاب والسنة من أين سيأتون بأحكامهم وأفكارهم ومشاريع الإصلاح والتربية والتعليم؟ (فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟! فَقَالَ: "وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ؟) يعني المقصود بالروم: أوربا. وفارس: دول الشرق. فالمقصد الآن أننا أمام أمرين لا ثالث لهما:

- إما أن نجتهد في الكتاب والسنة ونسير سيرهما في كل باب فيه إعمار للنفس، فما من إصلاح ولا حكم إلا بما أنزل الله، أو لا نملك إلا الخيار الثاني وهو

- إتباع سنن من كان قبلنا.

قال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ) ودائمًا عندما يأتي حديث فيه: "لا تقوم الساعة حتى..." فمعناه أنه من علامات يوم القيامة.

وأمر آخر: مادام قال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: "حتى" معناه أن هذا الأمر يكبر رويدًا رويدًا، مثلًا هنا متابعة سَنن من كان قبلنا، لا يأتي مرة واحدة، إنما بالتدريج، لكننا درسنا سابقًا حديث رسول الله: «لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ أوْ على الحقِّ ظاهرينَ لا يضرُّهُمْ مَنْ خذلَهُمْ وفارقَهمْ حتَّى يأتيَ أمرُ اللهِ أوْ قال حتى تقومَ الساعةُ»[34] ، فكيف نفهم هنا أن القيامة لا تقوم حتى تأخذ الأمة بسَنن القرون قبلها؟ المقصود هنا غالب الأمة، لكن هناك جماعة من الأمة باقية على الحق، وغالب الأمة تركوا الحق الموجود في الكتاب والسنة واتبعوا سَنن من كان قبلهم.

إذًا قول النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى...) فهمنا أنه يكون قرب قيام الساعة، وأنه يأتي بالتدريج إلى أن تأتي الساعة وتكون هذه الصورة تامة، يعني عندما تقترب جدًا الساعة لا تستطيع أن تفرق بين المؤمن والكافرّ من شدة اتباع سَنن من كان قبلنا! مثلًا قبل 300 عام كان هناك اتباع لسَنن من كان قبلنا، لكن صورته ليس متحكمة، وكلما زادت الأيام كلما زاد الاتباع

[34]() أخرجه أحمد (19851).

تقاربًا! انظر الآن للمطارات الإسلامية وانظر لشبابنا هل تستطيع أن تفرق بينهم وبين غير المسلمين؟ لا، ما السبب؟ اتباع سَنن من كان قبلنا طبعًا، ما أن نرى الهزيمة النفسية تتسرب للمسلمين إلا وتنعكس في صورتهم الخارجية مباشرة، في مشربهم ومأكلهم وملبسهم وعنايتهم باللغة التي تكلم الله بها في القرآن، لتعلم أن الناس خرجوا من إطارهم الصحيح، انظر إلى عنايتهم بلغة القرآن! تفهم كيف أنهم يتبعون سَنن من كان قبلهم حتى في كلامهم، فالمقصد لا تقوم الساعة حتى يحصل هذا. (حتى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا) يعني مثلما ساروا في الانحراف تسير الأمة بنفس الصورة.

(شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ) المعنى يتسرب الانحراف قليلًا قليلًا حتى يتمكن، ولا تستطيع حينئذ أن تفرق بين ثقافة هذه الأمة وثقافة غيرها -كما يعبرون-، وهذا يأتي من فعل الشيطان وضعف الإيمان وخطط الأعداء، لكن خطط الأعداء لا تنجح إلا إذا فتحنا لها الأبواب، يعني عندما تكون أمة مثل أمتنا لها قيمها التي تخصها ومفاهيمها في كل شيء، وتجد أن العولمة قد سحقت

كل القيم، ونجد أن بر الوالدين قربة إلى الله، والقوم عندهم بر الوالدين لا قيمة له، ثم يتسرب مثل هذا المفهوم إلى أن تقل العلاقات مع مرور الأيام!

ننتقل للحديث الثاني:

• حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الصَّنْعَانِيُّ مِنَ الْيَمَنِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- قَالَ: "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ"، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ؟ ".

← هذا الحديث يشبه الماضي في التقرير.

إلا أن هناك جملة مهمة أن النبي شبه هذا التتبع وقال: (حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ) جحر الضب يُضرب مثلًا للضيق، وأن الإنسان العاقل لا يفعل مثل هذا في نفسه، يعني لا يدخل جحر الضب لما فيه من ضيق، ولما فيه من أذى، لكن معناه أنه يبقى التتبع ما بين المسلمين وغيرهم ساريًا حتى في الأماكن

الضيقة أو الأوضاع الضيقة أو الأحوال الضيقة فيتابع المسلمون غيرهم.

(قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ؟") يعني في الحديث الأول قال -صلَّى الله عليه وسلَّم-: (الفرس والروم) معناه كأجناس، ثم قالوا: (اليهود والنصارى؟) قال: (فمن؟) يعني تقرير أنه أيضًا الأديان، معناه أنه كما حصل في الأديان السابقة انحرافات من جهة تعظيم الأنبياء أو من جهة الاستهانة بالأنبياء، يعني النصارى مثلًا غلو في عيسى -عليه السلام-، مثلما حصل عندهم بالضبط يحصل عندنا من الغلو في النبي -صلَّى الله عليه وسلّم-، واليهود ماذا فعلوا في عيسى؟ اتهموه بالنقص وتجرؤوا عليه وقالوا إنه ابن زنا، وأيضًا في أمتنا يحصل أنهم يتهمون النبي أو يتعدون على حقه، يعني حصل عندهم جفاء، سيحصل عندنا جفاء، حصل عندهم غلو سيحصل عندنا، بمعنى فيما يتصل بالدين وفيما يتصل بالطباع والسلوك، يعني الحديث الأول الروم والفرس كأنه يقول: فيما يتصل بالطباع والسلوك، الحديث الثاني: اليهود والنصارى فيما يتصل بالدين، عندما ضرب الله في سورة

الجمعة مثلًا لليهود في حملهم للتوراة، كيف وصفهم؟ قال تعالى: (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) هذه الصورة معناها أنهم يحملون التوراة ويقرؤونها لكن صورتهم كصورة الحمار لا يفهم شيئًا لكنه يحمل الأسفار! نأتي لأمة الإسلام يوجد صورة شبيه لذلك، هناك من يحملون القرآن ويحفظونه لكنهم لا يفقهون فيه شيئًا، إذًا سيشابهون اليهود في هذه الصورة وهكذا.

معنى هذا أن كل مرة تقرأ في كتاب الله عن اليهود والنصارى، فليكن معلومًا عندك أنه يقال: لا تفعل مثلهم، أتراهم كيف احتالوا في مسألة السبت، وأرادوا أن يصطادوا والنبي قد نهاهم، هذه الصورة في الاحتيال تتكرر في أحوال المسلمين، أتراهم كيف يريدون أن يتنصّلوا من الأمر ولا يستجيبوا كما في قصة البقرة، وهذه الصورة تتكرر في أحوال المسلمين وهكذا يشابه المسلمون الكفار في أمر دينهم ودنياهم.

إذًا ما المطلوب؟ أن ينهض من لديه ذكاء وفهم وفطنة إلى الاجتهاد لتعلم الدين لأنه إن لم يجتهد في تعليم الدين الصحيح للناس؛ ستكون النتيجة أن القوم سيتبعون سَنن من كان قبلهم.

هذا ما تيسر ذكره، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

## اللقاء السابع عشر

### بَابُ إِثْمِ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان والتقوى وهو -سبحانه وتعالى- أهل التقوى وأهل المغفرة، ومن اتقاه -سبحانه وتعالى- وقاه، فنسأل الله أن يكون إيماننا سببًا لتوقّينا من عذاب النار.

نعلم أن الله العظيم يوم لقائه يسأل الإنسان سؤالًا عظيمًا: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)[35] ؟ وربنا آثار كرمه في كل مكان وفي كل شيء، والعبد مغرورٌ بآثار كرم الله، فيبقى على الرجاء ويترك التقرب وطلب رضاه؛ وهذا سببه الرئيس: ضعف الإيمان، والأمة كلها ترى آثار ضعف الإيمان في كل شيء، فإن

---

[35]() الانفطار: 6.

الإيمان بالغيب أصل هذا الدين، قال تعالى: (الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[36] أول صفة للمتقين: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[37] فهذه الآية على قدر تكرارها واشتراكنا جميعًا في حفظها، يبقى علينا أن نعلم كم نعيش الإيمان بالغيب؟ ودائمًا لا بد أن نسأل أنفسنا سؤالًا: "كم في قلوبنا من معرفة بالله أدت إلى أن نعبده كأننا نراه؟!" لأن المؤمن أول صفة فيه: أنه يعرف حقائق الإيمان. يعني يعرف مَن هو ربه -سبحانه وتعالى- معرفة تفصيلية، ويعرف مَن هو نبيّه معرفة تفصيلية، ثم يعيش تحت أثر هذه المعرفة، معنى ذلك أن قلب المؤمن مليءٌ باليقين بمعرفة الله ومعرفة رسول الله -صلَّى الله عليه وسلّم-، وبمعرفة دين الإسلام، وهذا اليقين من المؤكد أنه سيولّد له كيف يتعامل مع الحياة، فلما ننظر لحالنا ولحال الأمة على وجه العموم أنها تشترك في ضعف الإيمان واليقين؛ والسبب الله أخبرنا به في سورة كثير ما نقرؤها ونرددها، قال تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

---

[36]() البقرة:1-2.

[37]() البقرة: 3.

(3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ)[38] أين هو علم اليقين اليوم؟ اليوم لا بد أن يكون علم اليقين؛ ولذلك من صلّى اليوم مع الإمام سمعه يقرأ السجدة، وسمع كيف أن الله يمتنّ علينا في كتابه أنه (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ)[39] ولما خلق الإنسان من طين وهبه ثلاثة أمور: (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)[40] انظر ما موقف الكافرين في نفس السياق، عندما يأتي يوم القيامة يقولون لربنا: (أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)[41] لكن في توقيت غير مناسب.

فإذًا الأصل في هذا الدين، أن يكون أهله مؤمنين موقنين، فحينما يعيشون في الحياة، يعاملون رب العالمين معاملة من يتيقن بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ وهذا نتيجته الأخيرة أنه عندما تقول: "أشهد ألا إله إلا الله" ما تكون كاذبًا؛ لأنك شهدت حقًا أنه لا إله إلا هو، ليست شهادة زور؛ لأن من يشهد زورًا يكون حاله أنه لم يسمع ولم يبصر ولم يقع الإيمان في قلبه، ولذلك أهل الباطل

---

[38] () التكاثر:1-5.
[39] () السجدة:7.
[40] () السجدة: 9.
[41] () السجدة:12.

يقولون يوم القيامة: (أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ)[42] وفي سورة غافر يقولون: (رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)[43] لا يوجد إلى خروج من سبيل! (ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ)[44].

معنى ذلك أن الاختبار الكبير الذي يعيشه الناس في الدنيا أن يعرفوا الله ثم يعاملوه معاملة من شهد أسماءه وصفاته وأفعاله في كل شيء، فهنا ترى آثار رزقه وهنا ترى آثار جبره، وهنا ترى آثار ستره وهنا ترى آثار رحمته وهنا ترى آثار أفعاله، حتى أنك عندما تستيقظ في الثلث الأخير من الليل خاصة، تفزع لأنك تشعر أن الله في هذا الزمن ينزل إلى السماء الدنيا، تتيقن وتتعامل مع الله باليقين، وعندما تتعارَّ من الليل وتتقلب، بمجرد أن تفتح عينك تذكره فتقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"، تذكره إشارة إلى أن قلبك قد امتلأ

[42]() السجدة: 12.
[43]() غافر: 11.
[44]() غافر:12.

باليقين أنه في ظلمة الليل مهما كان أهلك قريبون منك، فلا أقرب منه سبحانه وتعالى.

فهذا اليقين هو السبب لبقائنا على الصراط المستقيم ونحن نسير في الحياة، الإيمان واليقين، وكلما ضعف الإيمان واليقين بسبب الاختلاط بالحياة، كلما كان سلوك الإنسان لا يدل على أنه متيقنٌ برب العالمين، الخطأ والغفلة موجودان عند كل الخلق، لكن المؤمنين صفتهم: أنهم إن ذُكّروا تذكّروا، قد يقع الخطأ وزلّة القدم، لكن بمجرد أن تُذّكر بالمفاهيم التي ثبتت في قلبك، مباشرة تتذكر وتتفاعل معها، لكن عندما يكون القلب فارغًا من اليقين، مهما وُعِظ لا يملك شيئًا يتذكره، مهما قيل لصاحب هذا القلب: "الجنة والنار ولقاء الله والحساب والملائكة تكتب عليك، وسارع في التوبة من أجل أن تُمحى عنك السيئات!" كل هذا كلام لا يقع في مكانه! والسبب: لا رصيد له داخل القلب من اليقين.

إذًا دورنا الحقيقي في الحياة: أن نستعد للقاء الله، وأول لقاء الله: أن تأتي الملائكة، قال تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)[45] فسيكون أول لقاء لنا نهاية

[45]() السجدة: 11.

الاختبار: أن نلقى ملك الموت، تلك اللحظة يظهر فيها ما في القلب من يقين، وذكر الموت ليس شيئًا مخيفًا، بل كما تذكر ولدك يوميًا وتقول له: "في آخر السنة يوجد اختبار." وحين يقول لك: "لا تذكّرني!" تقول له: "عليك أن تواجه الحقيقة، لا بد من التذكّر لتستعد."، كذلك نذكر أنفسنا أن في نهاية حياتنا يوجد اختبار، وهذه المرحلة الأولى، وبعدها يدخل الإنسان القبر فيُسأل: "من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟" فبقدر يقينك بربك سيكون الثبات، بقدر ما تعلم دينك ونبيك سيكون الثبات، وهذه المعرفة ليست معرفة التسميع والتعليم واختبارات الدنيا! هذه المعرفة معرفة اليقين؛ ولذا المسلمون المؤمنون المتقون حالهم أنهم معتصمون بالكتاب والسنة؛ لأنهم يعلمون أنهم إن لم يعتصموا لن ينجو، فمعرفة الله لن تكون إلا بكتاب الله، ومعرفة دين الله لن تكون إلا بكتاب الله، ومعرفة نبي الله لن تكون إلا بكتاب الله، وهكذا معرفة الله ودين الله ونبي الله، لن تكون إلا بسنة رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فمن أراد النجاة فلينظر للكتاب والسنة ويعتصم بهما، ثم على قدر اعتصامه ينقل لأبنائه هذا الاعتصام، مثلما نعظم في نظرهم

-وهذا غالبًا في الوضع العام- الشهادات والنتائج والوظيفة التي في نهايتها قد لا يعيش ليصل إليها! ونهايتها أنه سيأخذ في الدنيا ما قد قُسم له، كما نعظم هذه الأشياء حتى أنه في النهاية لا يعيش إلا ليدرس أو يعمل، كان المفترض بدلًا من أن توجّه كل هذه المشاعر تجاه الدنيا، أن توجّه تجاه لقاء الله ومعرفته، ومَن سيكون قويًا في اعتصامه فسيخرج هذا الكلام لأبنائه ولا بد، والضعيف لا يظن أن مثل هذا الكلام سيخرج من قلبه، إنما يخرج من لسانه وما يخرج من لسانه لا يصل إلا لآذان من يسمعه فقط ولا يصل إلى وجدانه! ولذا نحن نجتمع لنشكر الله على وجود السنة وعلى وجودنا في دولة السنة، بالاجتماع على دراسة هذا الكتاب الذي هو جزء من صحيح البخاري.

كتابنا الذي نتدارسه كتاب الاعتصام، والاعتصام أمر مهم اليوم خاصة ونحن نرى الناس على طرفيّ نقيض في كونهم تفلّتوا من الدين، فإما تجد أناسًا يكفرون الناس بالمعصية فيقتلون المسلمين! أو تجد أناسًا يقولون: "بما أننا لم نشرك فلن يعذبنا رب العالمين!"

وهؤلاء على طرفيّ نقيض، وهم خارج دائرة الاعتصام بالكتاب والسنة، وشأنهم إلى الله، وكأن الطرفين ينسون عن الله معلومة.

- فمن كفّر المسلمين بمجرد المعصية، نسي أن الله غفور رحيم وأن باب التوبة مفتوحٌ.
- ومن يرى أنه مادام لم يشرك فهو تحت رحمة الله، فالحقيقة أن في الأصل الإنسان تحت رحمة الله في كل الأحوال، لكن المستهين يأتي بصفات المنافقين، فإن الله -عزَّ وجلَّ- في صورة الحديد لمّا وصفهم وهم يقولون للمؤمنين (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ)[46].

يعني أنتم أتيتم بالفتنة لأنفسكم، ومن يأتي بالفتنة لنفسه، يقول لنفسه: "ادخل في هذا الأمر ولن يفتنك، ربك غفور رحيم!"

فهذا نسي أن هناك منافقين وذاك نسي أن هناك توبة وأن الله غفور رحيم، وكلاهما وقع في هذا الأمر بسبب أنه لم يعتصم بالكتاب والسنة.

[46]() الحديد: 14.

وكنا نعيد على أنفسنا دائمًا أن من يدّعي الإيمان -يقول: "أنا مؤمن!"- معناه أنه لا بد أن يقول: " أنا مصدّقٌ بشيء"، يقول: "أنا مصدّقٌ بالله ربًا كامل الصفات، مصدقٌ بأنه يستحق أن يكون إلهي، مصدقٌ بأن هذا الدين كامل، مصدقٌ بأن طريق الفلاح من هنا، مصدقٌ بأن اتباع النبي سبب النجاة، مصدقٌ بأن هذا الدين إذا تمسكت به؛ صلحت ليّ الدنيا والآخرة." هذا الذي يقوله من يقول: "أنا مؤمن."، ثم إن هذا الكلام يبقى مجرد دعوى يشترك فيها المؤمن والمنافق؛ ولذا يوم القيامة عندما يأتي الموقف العظيم ويأتي اليهود والنصارى للنار، يُحبس فقط أهل الإسلام، سواء كانوا من المؤمنين حقيقة أو من المنافقين، كلهم يُحبسون في مكان واحد، ثم عندما يأتي رب العالمين لهم ويأمرهم بالسجود -مع أنهم كلهم صورتهم أهل إسلام- يسجد فقط من يعرف الله، والمنافقون يصبح ظهرهم غير قابل للسجود! مع اشتراكهم في الصورة في أصل المسألة، إذًا المنافقون قضيتهم في الادعاء، وعندما نسمع عمّن سلفنا مثل ابن أبي مُليكة، وهو أحد التابعين الكبار، نسمعه يقول: "أدركتُ ثلاثينَ من أصحابِ النَّبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-

كلُّهم يخافُ النِّفاقَ على نفسهِ، ما منهم أحدٌ يقولُ إنَّه على إيمانِ جبريلَ وميكائيلَ"

معناه أن مسلك من كانوا قبلنا أنهم كانوا يخافون من النفاق، ومن يخاف من النفاق يهرب إلى الإيمان، والإيمان يأتي من الاعتصام بالكتاب والسنة، إذًا نحن ندور ونعود لنفس النقطة، لا بد أن تبحث عن الإيمان وتفتش في قلبك عن الإيمان، كم تعلم عن الله؟ وكم أنت متيقنٌ بما تعلمه عن الله؟ ومن أين أتيت بما تعلمه عن الله؟ كم قرأت في القرآن عن الله وفهمت ما تقرؤه عن الله؟ كم قرأت عن الملائكة، وعن الكتب، وعن الرسل، وفهمت ما تقرؤه؟ إذًا المؤمنون حقًا هم الذين يثبّتون إيمانهم في قلوبهم من اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكل مرة يقولون لأنفسهم: "نحن مصدقون" يقولون: "صدّقنا بأن ربنا هو الذي خلقنا، صدّقنا بكذا وكذا مما سمعنا في كتاب الله ورأينا من آثار أفعاله سبحانه وتعالى" وهكذا في الملائكة والكتب والرسل.

إذًا حتى لا يكون الإيمان دعوى، ماذا يجب علينا؟ نتعلم عن الله، ونتعلم عن دين الله من كتاب الله وسنة رسول الله -صلَّى الله

عليه وسلَّم-. إذا تعلمنا لا نريد أن يكون العلم مجرد معرفة؛ لأن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول: «لَو تَعلَمونَ ما أعلَمُ لَضَحِكتُم قَليلًا، ولَبَكَيتُم كَثيرًا.»[47] ، معنى ذلك أنكم وضعتم الأشياء في مواضعها وليس معناه أنكم أصبحتم أهل نكد، بل تعلمون كيف تقدّرون الأمور، وتعلمون بماذا تفرحون وما الذي لا يستحق أن تفرحوا به؛ ولذا في سورة يونس قال تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[48] فإذا كنا نعلم -وليس نعرف، المعرفة كل الناس مشتركون فيها- ما يعلمه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لضحكنا قليلًا ولَبَكينا كثيرًا، يعني قدّرنا الأمور ووضعناها في مواضعها.

إذًا كل ما مضى نختصره في الآتي:

ما هو المطلوب منّا؟ أن نكون مؤمنين صادقين، ولسنا أهل دعوى.

وكيف يأتي إيمان هؤلاء المؤمنين الصادقين؟ من الاعتصام بالكتاب والسنة.

---

[47]() أخرجه البخاري (6485).

[48]() يونس: 58.

والمعتصمون ماذا يفعلون؟ يتعلمون حتى يصل العلم في قلوبهم إلى اليقين. فكل مَن لديه قدرة أعطاه الله إياها على العلم، لا بد أن يصرفها في تعلم هذا الدين العظيم، وقد مرّ معنا أن أول ما نتعلمه في هذا الدين: أن نعلم مَن هو رب العالمين، هذا أول أمر على الإطلاق، أن تعلم مَن هو الله، ولذا عندما نأتي لسورة مثل سورة الحشر ونسمع عن ربنا أنه (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)[49] فنحن -الحمد لله- نشترك في حفظها، لكن بقي علينا أن نشترك في فهمها واليقين بها ومعاملة الله بها، لا يصح أن أُسأل: "ما معنى اسم الله السلام؟" فلا أعرف! مع أني بعد كل صلاة أقول: «اللَّهمَّ أنتَ السَّلامُ ومنكَ السَّلامُ»[50] ولا أملك جملة أعبر بها ولا أعيش المعنى، إذا كنت لا تعيش المعنى ولا تعلمه، كيف تقول إنك صدّقت بذلك؟ لا بد ليكون تصديقك يقينيًا لا بد أن تعرف، الناس فيهم ضعف وفيهم قوة من الإيمان، ضعيفو الإيمان هم مَن لديهم العلم بمجمل الأشياء، إجمالًا يعرفون أن ربنا عظيم،

---

[49]() الحشر: 23.

[50]() أخرجه أبو داود (1513).

وهؤلاء إذا حافظوا على هذا الإيمان المجمل وابتعدوا عن الذنوب والمعاصي، فالله يبارك في هذا الإيمان ويقبل منهم، لكن لا تقل عن نفسك إنك مؤمن وإنك من أهل الإيمان، وأنت تجد نفسك ضعيفًا في معرفة الله! هذه دعوى، الخطوة الأولى من أجل تحصيل قوة الإيمان: معرفة الله، تأتي الخطوة الثانية: معرفة دين الإسلام والاستقامة عليه، وهذا كله دائر حول الاعتصام بالكتاب والسنة، يعني المعتصمون خائفون على أنفسهم، يشعرون كأنهم في بحر لُجّيّ فيتمسكون لينجو، ويتمسكون تعني: يتعلمون علمًا صحيحًا.

نبدأ اليوم بمفهوم من أهم المفاهيم وهو في الباب الخامس عشر.

بَابُ إِثْمِ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

(وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) الْآيَةَ

• حدثنا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلّم- : "لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا-؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا"

← نبدأ بالعنوان.

قال: (بَابُ إِثْمِ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ)) في الجزء الأول من نقاشاته قبل هذا الباب كان يقول مجملًا: "من أراد أن يعتصم بالكتاب والسنة فليتعلم الدين -الكتاب والسنة-، وإذا تعلمهما واعتصم بهما لا يتعدّاهما، يعني لا يصل إلى البدعة، فتتعلم السنة وتقف عندها ولا تتعدّ إلى البدعة، وعندما تظهر البدعة في الأمة معناه أنه في نهاية الأمر سيصبح الدين غير الدين؛ بسبب أن كل شخص يبتدع في الدين ما لم يأتِ، هذا المبتدع لا يمكن أن يكون معتصمًا؛ لأن المعتصم بالكتاب والسنة والممتثل لقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)، هذا مقتنع تمامًا بأن الدين كاملٌ؛ ولذا لا تجده إلا وهو يسمع ما في الدين، ويملأ قلبه علمًا ويقينًا ويفعل ما أمره به رب العالمين، هذه طريقته في الحياة، أما غير المعتصم فيدخل في البدعة؛ ولذا قال: (بَابُ إِثْمِ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ) يعني سيخبرنا في الباب كيف سيكون إثم من دعا إلى ضلالة.

هذا الحديث أخرجه مسلم، فيه شقّان:

الشق الأول: «مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا.»

الشق الثاني: «ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا.»[51]

إذًا ما معنى الحديث؟ أن الناس أحد اثنين:

- إما شخص يدعو إلى هدى.

من أين أتى به؟ الهدى الذي أتى به وعلّمه للناس إنما هو من كلام الله وكلام رسول الله، فليس لشخص أن يقول: "إن هناك بدعة حسنة!" لأن الهدى الذي يُدعى إليه إنما قد هدانا إليه رب العالمين وهدانا إليه الرسول الكريم -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ومعنى هذا أن دعاءنا إلى الهدى إنما يكون بإرشاد الجاهل وتعليمه، وبتنبيه الغافل، وبتذكير الناسي، يعني الهدى نحن لا نُنشئه، وليس لنا أن نقول بعقولنا: "في هذا الزمان ما يصلح للناس من الهدى كذا وكذا!" الدعوة إلى الهدى أن تعرف الهدى من الكتاب والسنة سواء استطاع عقل الإدراك أن يستوعبه أو لا؛ لأن عقل الرشد أصلًا يتكوّن من الكتاب والسنة، أما عقل الإدراك فيشترك فيه

---

[51]() أخرجه مسلم (2674).

الناس كلهم وحتى البهائم، وأنتم ترون البهائم إذا هجم عدو عليها هربت، وإن جاعت بحثت عن طعام، وإن عطشت بحثت عن ماء. إذًا لديها عقل يسمى عقل الإدراك، والإنسان عقل إدراكه بنفس الطريقة، إن جاع بحث عن طعام، وإن عطش بحث عن ماء، وإن أتاه العدو هرب منه، وهذا عقل الإدراك الذي يشترك فيه كل الناس، لكن عقل الرشد الذي يجعل الإنسان يرى حقائق الأمور، يعلم الحكمة من خلق الدنيا، يعلم سبب وجود أغنياء وفقراء. عقل الرشد لا يتكوّن في قلب الإنسان إلا عندما يتعلم من الكتاب والسنة.

إذًا الهدى ليس اختراعًا، إنما الهدى الذي تتعلمه من الكتاب والسنة بوضوح وليس على ما يوافق هواك، ثم تدعو إليه الناس، تعلمهم إن كانوا جاهلين، تذكرهم إن كانوا ناسين، تنبّههم إن كانوا غافلين، قال تعالى: (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[52] فهو بنفسه هدى وأنت ستدعو الناس إليه، مثلًا في موقفنا نجد ديار المسلمين كلها انتشر فيها الاهتمام بالقرآن، وهو بين أيدينا وأجهزتنا والناس يسمعونه ويقرؤونه ويهتمون بإتقانه،

[52]() البقرة: 1-2.

وهذا كله جميل، لكننا وصلنا إلى أنهم فقط يقفون عند حروفه ويجيدونها؛ ولا يفهمون المعاني، مثلًا، تجلس في مجلس وتقول: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ)[53] ثم تسأل: ما معنى هذه الآية، وكيف ضرب الله بها مثلًا للإيمان في قلوب المؤمنين؟ وكيف ذكر الفطرة؟ ولماذا ذكر هنا هؤلاء الناس خاصة عن دون الناس، وكيف مثّل نور الله في قلوبهم؟ فتجدهم يحفظون السورة حفظًا متقنًا لكنهم لا يعلمون الأمثال التي ضربها الله! لا يعرفون أسماءه وصفاته، لا يعرفون ما قرّب الله بالقصص التي حكاها في القرآن، ماذا قرّب لنا من معانٍ؟!

فكأنك تقول: "حفظِت القرآن؛ فأنت على خير كثير، بقي لك خطوة." الهدى أن تخطو خطوة أخرى بأن تتعلم هذه المعاني على سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

إذًا (مَن دعا إلى هُدًى) معناها أن الهدى ليس شيئًا يخترعه الإنسان، إنما الهدى كلام الله وكلام رسوله، والداعي إليهما يقول:

---

[53]() النور: 35.

"تعال اعتصم بكتاب الله سواء كنت ناسيًا أو جاهلًا أو غافلًا!"

وبالعكس سيكون الشخص الثاني:

- شخص يدعو إلى ضلالة.

ماذا ستكون الضلالة؟ أي شيء غير هدى الكتاب والسنة يُعتبر ضلالة، في أيّ شأن يعتبر ضلالة؟ أيّ خبر أو فكرة تأتي وتقول لك: "من أجل أن تكون أحسن الناس، من أجل أن تطور نفسك، من أجل أن تصلح مجتمعك أو اقتصادك؛ افعل كذا وكذا!" وتكون أخبارًا من غير الكتاب والسنة، ستكون ضلالة؛ لأن إعمار النفس هذا حكرٌ على الكتاب والسنة، قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[54] هذه نفسك التي بين جنبيك أقسم الله في سورة الشمس إحدى عشر قسمًا على أنه خلق كل هذه الأشياء التي حولك، الشمس والقمر والليل والنهار من أجل: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[55] فإذا أردت أن تتكلم عن صلاح نفسك وعن صلاح المجتمع فليس لك إلّا كتاب الله يوصلك إلى

[54]() الملك: 14.

[55]() الشمس: 9-10.

تزكية النفس، أنت في غنى عن أيّ شيء غير كتاب الله وسنة رسوله.

وسنعود ونقول: "إن السبب في ضعف معرفة هذا: أننا لم نتعلم الكتاب والسنة كما ينبغي"، وإلا ففيهما غنوة عن أي شيء، فإذًا ماذا ستكون الضلالة؟ أيّ دعوة للصلاح أو الإصلاح من مكان غير الكتاب والسنة، وكل ما تسمعونه من "إننا نملك طاقات كامنة، وإنك تستطيع أن تفجّر ما في داخلك!" كل هذا من الضلالة مهما لووا أعناق النصوص؛ لأن الحقيقة هي أن الهدى في كتاب الله وأننا إن اعتمدنا على أفكار الشرق والغرب في إصلاح النفس فقد أسأنا إلى أنفسنا وقناعاتنا، ويقيننا إن كل شيء موجود في كتاب الله. وقد ورد في صحيح البخاري: «ليس منَّا مَن لم يتغَنَّ بالقرآنِ»[56] ويتغنّى أي: يستغني به عن غيره، ولا تظنوا ما يظنه الناس في الجملة المكررة: "إن الحكمة ضالة المؤمن"، نقول: "صحيح، لكن الحكمة لم تضلّ عنا!" لم نضيّعها ولم تضيّعنا، ومن يفتح كتاب الله سيجد كل ما يحتاجه فلم تضل عنّا، وإن كانت

[56]() أخرجه البخاري (7527).

ضلت فهذا لأننا لم نبحث عنها في كتاب الله لكنها في الحقيقة لم تضل عن المؤمنين.

إذًا هذا الهدى وهذا الضلال، فمن يدعو إلى الهدى يقول: "تعالوا هذا كتاب الله، هذه سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، تعالوا نرشد أنفسنا إلى الدين" فسيكون له له أجر كل من سار ورائه، وهذا لا ينقص من أجورهم شيئًا، بل يزيد هذا الداعي، والذي يدعو إلى ضلالة عليه وزر كل من تبعه ولا ينقص من أوزارهم شيئًا، هذا حديث خطير جدًا، خصوصًا اليوم ونحن نمسك أجهزتنا وأصبحنا كلنا دعاة، إما إلى ضلالة وإما إلى هدى، فنجد أنفسنا ننشر ما لا نعلم هل هو من دين الله أو ليس من دين الله! وأحيانًا كثيرة نقول: "هذا لا علاقة له بالدين!" ونحن لا نعلم هل له علاقة بالدين أو لا، وكل هذا التمييز بأنه: "هل كان من الدين أو لا؟" يحتاج إلى علم، فعلى ذلك كل شخص يحمل مصيبة في يده! لأنه إن دعا إلى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، ومن ذلك ما انتشر في مقطع صوتي لشخص يقول: "ليس من الصحيح أن تقولوا في دعاء الاستفتاح: «وتعالى جَدُّكَ»[57] ؛ لأن

[57]() أخرجه الدارقطني (1145).

الله ليس له جدّ!" والناس نشروا المقطع، وهناك من استغفر لقوله ذلك! وهذه ضلالة وهذا الكلام لا يدل إلا على الجهل؛ لأن هذه الكلمة تأتي بمعنيين عند العرب: إحداهما بمعنى: عظمتك، ومن ثمّ نقول في سورة الجن: (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا)[58] ، فمن أين لك أن تنشر هذا المقطع قبل أن تعلم هل هو حق أو باطل؟! وقيسوا على ذلك ما تريدون، كيف أنهم يطعنون في السنة فننشر! يطعنون في الصحابة فننشر! فالأفضل أن تحتاط لنفسك ولا تدخل في هذا الباب إلى أن تتيقن من أن ما تنقله حق ثم انقله لمن يصح أن تنقله إليه، مثلًا من الأخطاء فيما يُنشر هو أن تنشر شيئًا فيه دليل على عظمة الله وجلاله وأنه يعاقب من وقع في ذنب -وهو دليل صحيح- لكن يصل لأحدٍ تلبّسه الشيطان، وصاحب وسوسة، ولديه يأس من الحياة، فترسل له المقطع، أو بالعكس، تنشر عن رحمة الله وتذكر حديث عثمان -رضي الله عنه- الذي فيه قال الرسول: «مَن توضَّأ مِثْلَ وُضوئي هذا غُفِر له ما تقدَّم مِن ذنبِه» ولا تكمل الحديث، أن رسولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- قال آخره: «ولا

---

[58]() الجن: 3.

تغتَرُّوا»[59]، وينتشر هذا الحديث بين الناس، حينئذ سيقتحمون الذنوب ويقولون: "نذنب ونتوضأ!" فحتى الحقائق لا يصلح نشرها لكل الناس، وأحيانًا يقول الحقيقة ويترك كلمة واحدة فتقلب الحقيقة على رأسها! فهذا كله يفهمنا أننا نملك في أيدينا سببًا لهلاكنا أكثر مما نملك في أيدينا سببًا لنجاتنا، والسبب أنك إذا امتلكت علمًا ستعلم كيف تستخدمه جيدًا، ولن تعتبره الوسيلة الوحيدة، وقد تستغنى عنه وتعلّم الناس بطرق أخرى، لكنّ المشكلة عندما نستقبل فقط ونرسل دون تبيّن، وتكون هناك كثير من المنكرات يُخطط لنشرها عن طريق المستقيمين! فأنت تحب الدين وهم يريدون نشر هذا المنكر، فيقولون: "احذر من كذا وكذا" فهو يكون عبارة عن نشر لمنكر، وأنت تنشره على أنه تحذير! فلا بد أن ننتبه لكيلا نكون دعاة للضلالة.

إذًا الهدى هو الكتاب والسنة وما فيهما، والضلالة هي أيّ شيء غيرهما وجّه لصلاح النفس وصلاح المجتمع. هل يمكن أن نعتبر أن من الضلالة كل شيء متطور مثل الطائرات أو السيارات؟ هذا

---

[59]() أخرجه ابن ماجه (285).

يُسمّى إعمارًا للأرض، وهو حق لكل مجتهد، وهذا ليس موضوعنا.

موضوعنا هو إصلاح النفس والمجتمع، وهذا حِكر على دين الله، أما الدنيا فكما ورد في الحديث في كتاب الرقاق في صحيح البخاري: «تَكونُ الأرضُ يَومَ القيامةِ خُبزةً واحِدةً، يَكفَؤُها الجَبَّارُ بيَدِه، كما يَكفَأُ أحَدُكُم خُبزَتَه في السَّفَرِ، نُزُلًا لأهلِ الجَنَّةِ»[60] يعني الدنيا لن تساوي شيئًا، فهي ليست موضوعنا في الإعمار، وأنت تسمع في القرآن أن مَن قبلنا عَمَروها أكثر مما عمّرناها نحن، فليس مقصدنا التعمير في الأرض، مقصدنا ما يُعمِّر النفس ويُعمِّر المجتمع، فهذا الذي فيه هدى وضلالة.

إذًا قال: (بَابُ إِثْمِ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً) هذه أيضًا جملة من حديث للنبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وحديث النبي فيه جزأين:

الجزء الأول: «مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعمِلَ بِها، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها، لا يَنقُصُ مِن أجورِهِم شيئًا».

---

[60]() أخرجه البخاري (6520).

«مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً» أي يعيد للمسلمين أمرًا قد سنّه النبي الكريم وموجود في كتاب الله العظيم، وليس سنة حسنة أنت تخترعها، فهذا معناه أنك لا تشعر باكتفائك بالدين، الدين كامل لكن السنة الحسنة هي ما تجد القوم قد غفلوا عنها مع طول الأيام والليالي، مثل الاهتمام بفهم كلام الله، أو الغفلة عن سنة العقيقة أو قول ذكر معين، مثلًا الناس عندما يطوفون ويستقبلون المسعى يقولون: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)[61] ثم إذا وقفوا على الصفا مستقبلين القبلة السنة أن يرفعوا أيديهم ويدعوا ويقولوا: «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ»[62] .

الناس مع طول الزمن وتوزيع الكتب نسوا قراءة الآية في هذا الموطن العظيم الذي هو من مواطن إجابة الدعاء، من أعظم مواطن إجابة الدعاء في العمرة أنك عندما تقف على الصفا والمروة، تستقبل القبلة وترفع يديك وتدعو، الآن ما السنة الحسنة؟ أنك كلما رأيت المعتمرين تقول لهم: "هذا موطن من مواطن

---

[61]() البقرة: 158.

[62]() أخرجه أبو داود (4547).

إجابة الدعاء، في كل مرة تقف على الصفا تستقبل القبلة وتدعو، ومثله في المروة إلى أن تعد سبعة مرات." هذا يعتبر أصلًا في دين الله وأنت دعوت إلى سنة رسول الله، وسننت سنة ليعود الناس لسنة رسول الله، مثلًا رأيت الناس بعيدين تمامًا عن الاهتمام بفهم كلام الله، فسننت سنة أن يجتمعوا كل جمعة أو خميس في بيت ليفهموا كلام الله، بهذا سننت سنة موجودة في دين الله. إذًا «مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً» ليس معناها أن يخترع، بل يتأكد من أنها في دين الله؛ وليست بدعة، والبدعة تكون بطريقتين:

- إما باختراع عمل ليس في دين الله.
- أو يكون العمل في دين الله لكنهم يزيدون وينقصون فيه، إمّا في العدد أو الزمن أو الكيفية أو الصفة.

فالمفترض أن نعمل عملنا مجردًا على سنة النبي، وهذا لن يكون إلّا بالعلم، وليس كل ما تنكره ولا تعلمه يكون بدعة، ولا تقل: "أنا أشعر أنه بدعة!" لسنا بعالمين بكل شيء! يكون بدعة عندما أعلم من دين الله أنها لم ترد في الكتاب والسنة؛ ولذلك لا بد من سؤال المتخصصين وأهل العلم، ومثل هذا حين يقول أحد عن حديث إنه

لم يسمعه سابقًا! من أنت لتقول ذلك؟! حينئذ لا بد أن تراجع أهل العلم وتتعلم دواوين أهل الإسلام، وأيّ شخص لديه قوة أو لدى ذريته قوة يجب أن يرشدهم للعلم النافع.

الجزء الثاني: «ومن سنَّ سنَّةً سيِّئةً فعملَ بِها، كانَ عليهِ وزرُها ووِزْرُ مَن عملَ بِها من بعده لا ينقصُ من أوزارِهِم شيئًا»[63].

سيكون عليه وزرها ووزر من عمل بها، وهذا كله إن لم يتُب، لكن إن تاب فقد تاب الله عليه.

قال: (لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ) الْآيَةَ) هذه الآية من سورة النحل فيها قوله تعالى: (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)[64] يعني يوم القيامة كيف يكون الموقف عندما يدعو العبد إلى ضلالة؟ يقف وكل أوزاره في ميزان سيئاته، ثم يأتي بمن دعاهم وتصبح أوزارهم كلها -التي كانت بسببه أيضًا- في ميزان سيئاته، وكل هذا لا ينقص من إثم من وقع في الإثم؛ لأن

---

[63]() أخرجه ابن ماجة (203).

[64]() النحل: 25.

كل أحدٍ عليه مسؤولية فردية، وهذا كله إن لم يتب، فإن تاب العبد محا الله عنه ذنوبه.

ثم أتى هنا بحديث عن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: (لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا -وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا-؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا) . كأنه يُقال: انظر إلى هذه الحادثة وستفهم ماذا سيكون الموقف. هذه الحادثة مشهورة كما ذُكرت في سورة المائدة، وهي حادثة قتل ابن آدم لأخيه، والقصة مشهورة، فيها أن الله أمرهم بعبادات وطاعات وكان من بين طريقتهم وسنة الله معهم أنهم يقربون قربانًا، فإذا تُقبّل القربان أكلته نار من السماء، فأكلت النار قربان الأخ ولم تأكل قربان الثاني، كان الواجب على الذي لم تأكل النار قربانه أن يعود على نفسه بالندم والاستغفار والمراجعة والتوبة، ويعلم أن الخطأ من عنده؛ فيستقيم شأنه عندما يعرف أن قربانه لم يُقبل، لكن بدلًا من أن يكون هذا سبب لاستقامته كان هذا سبب لاعتدائه، فوقع منه في هذا الموقف الحسد، الحسد الذي دعاه للقتل، ما علاقة الحسد هنا؟ كونه يرى أن قربان أخيه قُبِل فهذا يعني أن أخاه

أفضل منه؛ إذًا هو أسوأ! وبما أن أخاه أفضل منه فتكون النتيجة في نظره أن يتخلص منه! وهذه الصورة نفس صورة إخوة يوسف عندما رأوا أن أخاهم أحب إلى أبيهم، وكان الحل أن يتخلصوا منه! وهذه الحالة التي تمر ببني آدم لا زالت حالة موجودة لليوم، ليس شرطًا القتل، لكن كل مرة نرى أننا أنقص من غيرنا ننكب على غيرنا بالتنقيص، نرى أننا لم نفعل ما يفعله، فإما أن نقول إنه ناقص في قرارة نفوسنا، أو نتجرأ ونتكلم بصوت عالٍ، فمثلًا إن تصدّق شخص ولم نتصدّق نحن؛ فتجدنا نقول: "يتصدّق رياءً ليظهر نفسه!" فهذه الحالة لا زالت موجودة في بني آدم باختلاف أحوالهم، ومن يزكّي نفسه عندما يكتشف أنه بهذا الوصف مباشرة يعود إلى نفسه فيطهّرها، بحيث يجعل الإنسان اكتشاف العيب سببًا للصلاح، لكن مباشرة عندما رأى ابن آدم أن أخاه أفضل منه رأى أن التخلص منه وسيلة لتهدئة نفسه، ماذا سيستفيد من قتله؟ نفسه ستغلي عندما يجد شخصًا أفضل منه، وهذا بالضبط الحسد، وهو: حرقة تأتي في القلب عندما يكتشف الإنسان أن شخصًا أفضل منه. مثل اللسعة التي تأتي في القلب، غليان وغصّة، كيف

تهدأ الغصّة التي تأتي في القلب؟ من يُزكِّي نفسه سيقول: "هذه منازل عند الله، وأنا أطلب من الله أن يرفع منزلتي بأن يفتح لي بابًا أو يرزقني ما يكفيني" لكن من لا يُزكّي نفسه حتى يُسكت الغصّة يتمنى أن تزول عن غيره أو يذمّ غيره بالصفة التي مُدح غيره بها. فنحن مع أنفسنا لا نسمح لأحد أن يمدح شخصًا آخر ونحن في مجلس، فتجده يقول في نفسه مثلًا: "لو كانوا يعلمون عنه جيدًا لما مدحوه!" كل هذا من الحسد، والحسد يولِّد الاعتداء، من يُزكِّي نفسه يمنعها من الاعتداء، وكلما منعت نفسك من الاعتداء كلما أعانك الله.

الشاهد أن كل من قَتل بعد ابن آدم، كان على ابن آدم كفل من قتل، يعني كلما قُتل أحد اليوم كان على ابن آدم الأول الإثم! فتخيل من أول الذرية إلى قيام الساعة! كل قتْلٍ سواء لمؤمن أو كافر أو فاسق، أيّ قتْل سيكون في ميزان سيئات ابن آدم. مثلها أي بدعة أو ضلالة يدعو إليها الإنسان صغيرة كانت أو كبيرة؛ فسيبقى إثم كل من عمل بها إلى قيام الساعة على من ابتدعها. مثل هذه الأمور لا تموت مع الإنسان، بما أنه دعا غيره وفعل هو وغيره؛

فسيكون الأمر متسلسلًا ويبقى في ميزانه ولا يموت هذا الذنب حتى يترك الناس القيام به.

فالمسألة ليست يسيرة أبدًا، والمشكلة أننا نتصور أن تبقى المخالفات على حجمها، يعني عندما نفعل شيئًا نراه صغيرًا وبسيطًا! والحقيقة أنك تضع نقطة والآخر يضع نقطة إلى أن يصبح هناك دين غير الدين، معنى ذلك أن عدم مراعاة الزمان وتحول أحوال الناس يجعل الإنسان الجاهل لا يعلم ماذا يعني أن ينحرف عن دين الله ولو بخطوة، الخطوة الواحدة التي تنحرف بها عن دين الله تصبح غدًا مائة خطوة، وتصبح كأنها هي الدين، ويُترك الدين!

فالمعنى أنه لا بد أن نراعي الزمان واختلاف الناس، اليوم هذا الأمر واضح أنه ليس من السنة، وغدًا يجعله الناس من السنة، مثال: أخرج الترمذي في سننه حديثًا عن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «إنَّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسمًا مائةً غيرَ واحدةٍ، مَن أحصاها دخلَ الجنَّةَ»[65] ثم أورد الترمذي عدًّا للأسماء، لكن هذا العد علّق عليه أنه ليس من كلام النبي ويسمى في علم الحديث "إدراجًا"،

[65]() أخرجه الترمذي (3506).

أتى جماعة من المتأخرين وفتحوا الترمذي وهم لا يفهمون معنى كلمة إدراج، ومعناها: أنه ليس من كلام النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- إنما أحد الرواة اجتهد فجمعها، فالحديث الصحيح الذي ورد عن النبي: «إِنَّ للَّهِ تِسعةً وتِسعينَ اسمًا مِئةً إِلَّا واحِدًا، مَن أحصاها دَخَلَ الجَنَّةَ» ورد في البخاري ومسلم وفي الترمذي وأبو داوود، أما إحصاؤها المشهور الموجود في البطاقات، فهذا ليس من كلام النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، فطُبعت المصاحف في المطابع اللبنانية، وكان يوجد في نهاية المصاحف الأسماء الحُسنى! وأخذوها من هذا الحديث، ولم يُذكر فيها اسم الرب، وهو من أعظم أسماء الله، وفيها اسم المنتقم وهو ليس اسمًا لله، بل هو صفة مُقيَّدة، فأصبحت هذه البطاقة اليوم عبارة عن دين، وكأن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قالها! وتطور الناس وأصبحوا يقتنونها في مصاحفهم واعتقدوا أنها تحميهم وكبرت المسألة، وفي الحقيقة إنما هي عدّ عدّه بعض الرواة وفيه من الخطأ ما فيه، فالمفترض أن نراجع أهل العلم في هذا ونعلم العد الصحيح.

الشاهد: أن تعلّموا كيف يحصل الخطأ؟ اليوم في الطواف أصبحنا نجد من يخرج هذه الأسماء وينادي بها الله، وهذا ليس صحيحًا! تصور -ولله المثل الأعلى- أن ينادوا اسمك فقط بدون طلب ماذا يريدون؟ فمن يسأل رب العالمين يجب أن يسأله باسم من أسمائه ثم يطلب حاجته، لكنه يبقي طوال الطواف يذكر الأسماء فقط على أنها دين! في البداية كانت خدمة أن يعدّ الأسماء وانتهت إلى أن أصبحت دينًا غير دين الله، وأصبحوا يتبركون بها ويضعونها تحت رأس المولود، وكبرت إلى أن أصبحت بدعة! وهكذا كل بدعة تبدأ صغيرة وقريبة من السُّنة، وتنتهي لتصبح دينًا آخر، وهنا الخطر، لا تفكر بعقل اليوم، بعد مائة سنة تصبح المسألة مختلفة والناس يفكرون بطريقة مختلفة، والجهال في الأمة وفي كل أمة أكثر من العلماء، فمن المؤكد عندما ينتشر بين الناس أمر غير صحيح يأتي الخطر.

ولذلك لا بد أن نعتصم، ونتمسك بالكتاب والسنة، وندفع أي شيء آخر، نسأل الله أن يحفظنا وأمة المسلمين ويمسكنا بالكتاب والسنة؛ لأنه لا نجاة إلا بهما، وقد قال النبي -صلَّى الله عليه

وسلَّم-: «فإنَّ هذا القرآنَ سبَبٌ طرَفُه بيدِ اللهِ وطرَفُه بأيديكم فتمسَّكوا به فإنَّكم لنْ تضِلُّوا ولن تهلِكوا بعدَه أبدًا»[66].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

[66]() أخرجه ابن حبان (122).